Çanakkale Onsekiz Mart Üniversitesi
İlahiyat Fakültesi Dergisi
Mart 2019, Sayı 14
(Sayfa 319-345)

طريقة الأداء وأثرها في البيان اللغوي والقرآني

أحمد علي نعمة Ahmed Ali NIIMAA*

الملخص

تعرَّض البحث لدراسة أهمّ الجوانب الأدائية صوتياً وترتيلياً، وبيان أثرها في فك رموز النصوص القرآنية وتحديد ملامحها الدلالية، والوقوف على ما في تلك الجوانب من مظاهر مُتعدِّدة، والتلوينات الأدائية المساهمة في توضيح الأوجه الدلالية وبيان الأثر المعنوي. مُعرّجاً على مدى الإسهام الفاعل ومقدار الجهد المبذول من لدن كلٍّ من علماء اللغة والتفسير والتجويد والأداء، القدماء والمُحدَثين في الإمساك بطرفٍ وثيقٍ من حبال هذا العلم المتينة، وما نتج عن ذلك كلِّه من نتائج بحثية.

الكلمات المفتاحية: الأداء، الصوت، الدلالة، البيان اللغوي، البيان القرآني.

Özet

İfade Üslubu ve Lügavî ve Kur'ânî Anlatımdaki Etkisi

Bu zor ilmin ipinin ucunu tutmak adına eski ve yeni icracılar tarafından üretilmekte olan, yorumcular, bilbilimciler tarafından sarf edilen emeklerin ve etkin katkıların kapsamlı bir şekilde gösterilmesi amaçlanmaktadır. Araştırma dört alt bölümden oluşmaktadır. Birincisi, akustik performansı ve onun tüm Arap ve Kur'ani retorikteki büyük etkisini ele almaktadır. İkincisi, bu yön itibariyle derlenen Arapça ve Kur'an sahnelerini ele almakta ve bir resim çizmektedir. Üçüncüsü, kıraat performansının değerlendirilmesini ve bunun Arapça ve Kuran reoriğine etkisini gözler önüne sermektedir. Dördüncüsü, bu yönüyle Kur'an-ı Kerim'den seçilen uygulamalı örmekleri ve bir dizi örneği gözler önüne sermektedir. Araştırmayı, en önemli bulguları, en önemli kaynakları ve referansları ele alan sonuç bölümü takip etmektedir.

***Anahtar Kelimeler**: Üslup, Ses, Delalet, Lüğavi Anlatım, Kur'ânî Anlatım*

Abstract

The Literary Style and Its Effects on the Linguistic and Quranic Expression

*Dr. Öğretim Görevlisi, Irak Üniversitesi, Edebiyat Fakültesi, Kur'an İlimleri Bölümü * الجامعة العراقية، كلية الآداب، قسم علوم القرآن

The research presents a study of the most important aspects of the acoustic and reciting performance in the glorious Arabic language and its greatest book – the Holy Quran – and in what within these aspects of versatile types of variegations, and tones of performance that contribute in one way or another to drawing the indicative facets and to clarify the effects of the moral and aesthetic images of language texts – prose – and verses of the Glorious Quran.

***Keywords**: Wording, Voice, Signification, Linguistic Expression, Quranic Expression*

مقدِّمة

الحمدُ للهِ، والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا مُحمَّد رَسُول الله، وعلى آله وصَحْبه ومن والاه، وبعد. فقد جاء الإسلام لانتشال الإنسانية من غياهب الظُّلْم ودياجير الظَّلَم، ومن الوهدة الخطيرة التي آرتكستْ فيها. وممَّا هو مُسلَّمٌ به أنَّ كلَّ ما يجري في هذا الكون إنما يكون على وَفْق ما تقتضيه حكمة الباري Y، وهو أعلمُ بحكمته، ومن مكامن تلك الحكمة البالغة أن آتخذ الإسلامُ العربيةَ لساناً له، فإذا كان الإيمان به هداية ونُوراً؛ كان الإسلامُ من ذلك النُّور طبيعته وحقيقته، وكانت العربيةُ منه المَظْهَرَ الذي تراه الأعين، والصَّوتَ الذي تسمعه الآذان، والمَسْرَبَ الذي يسلك به إلى القُلُوب والأذهان.

وإذا كان لزاماً علينا أن نبحث في سرّ هذا الاختيار الحكيم؛ فإننا نستطيع أنْ نتلمَّس أهمَّ الأسباب الظاهرة التي تُبيّن الحكمةَ في آختيار لغة العرب لغةً للشريعة الإسلامية الغرَّاء العامة الشاملة، ولعلَّ من أبرز مكامن تلك الحكمة: تفرُّدها بجُملةٍ من الخصائص النَّفيسة التي شرفتْ بها، وعلا شأنها؛ من تلك الخصائص: ما آمتازتْ به من جوانب أدائية صوتية وترتيلية فريدة.

لقد تعدَّدتْ وُجُوه إعجاز هذا الكتاب الكريم الذي لا تنقضي عجائبه ولا يَخْلَق على كثرة الرَّدِّ، مثلما تعدَّدتْ هداياتُهُ التي لا تَنْضُبُ. وشكَّل جانبُ الأداء بشِّقيه الصَّوتيّ والتَّرتيليّ لوناً بهياً من ألوان ذلك الإعجاز الأزلي، كما كانتْ - وستبقى - رافداً مِدْراراً وعيناً نضَّاخة ومصدراً رئيساً من مصادر الفهم القرآنيّ والدَّرس العربيّ على حدٍّ سواء، وتبوأتْ من بين أخدانها من الظواهر والعلوم العديدة الأخرى مكاناً سامقاً ومكانة علية.

فـ«**طريقة الأداء في البيان العربي والقرآني**» واحدةٌ من أسخى منابع العطاء الثَّرِّ لتلك اللغة، ودراستي هذه ستسلِّط الضَّوءَ ساطعاً على بعض ما لتلك الظاهرة الخلَّاقة من قدرة على رفد مفردات اللغة والقرآن المجيد بفيضٍ من المعاني المكنونة.

ولِمَا تُمثِّله تلك الظاهرة - بما آتخذتْه من أنماطٍ مُتعدِّدة: بدءاً بالصَّوت اللُّغويّ، ومُرُوراً بالكلمة المفردة، وآنتهاءً بالجُملة والتَّركيب والمَشْهَد الكلاميّ برُمَّته - من أهميةٍ بالغةٍ أسهمتْ إسهاماً فاعلاً في دفع عَجَلة عُلُوم اللُّغة والتَّفسير على حدٍّ سواءٍ قُدُماً خطواتٍ حثيثةً إلى الأمام؛ فلا غرو أن ينبريَ لها عُلماءُ الأمة، وأن يُشمِّروا عن سواعدهم تحديداً لملامحها، وبحثاً لقواعدها، ودراسةً لعُلُومها، وتبويباً لشواردها، وآستقصاءً لشواهدها. وهي - زيادةً على ما تقدَّم - ظاهرةٌ نجدُ مسائلها وقضاياها مُتداولةً ومُتأرجحةً بين كلّ من عُلماء اللُّغة وأئمة التَّفسير قدمائهم ومُحدَثيهم على حدٍّ سواء، وتُلفي دلائلها مبثوثة هنا وهناك في أنحاء شتَّى من أبحاثهم وكتاباتهم؛ فاستمسك كلٌّ من الفريقين منها بطرفٍ وثيق، وتوسَّط الجَمْعين علماءُ التَّجويد من المعنيّين ببيان أحكام الكتاب العزيز وحِكَمه المُتعلِّقة بهذا الجانب الجليل.

وأراني وَسْطَ تلك المراسيم المهيبة التي أقامها عُلماؤنا الأفذاذ وأساتذتنا الأجِلَّاء لهذا العلم البهيّ مُحوَجاً لأنْ أدلوَ دلوي؛ لأستخرجَ ما تسنَّى لي وتيسَّر من معين هذا العلم المخزون، وبيان أثره البالغ في علم اللغة العربية في ضوء ما جادتْ به آيات الذِّكر الحكيم وبعض الآثار العربية المنظومة والمنثورة.

ومن هنا؛ فقد ٱقتضتْ طبيعةُ هذا البحث ومنهجيته أن يقومَ على أربعة مباحث، تناول الأوَّل منها جانبَ الأداء الصَّوتيّ وما أحدثه من أثرٍ بالغ في عُمُوم البيان العربيّ والقرآنيّ. في حين جاء المبحثُ الثاني لالتقاط بعض الصُّور والمَشَاهد العربية والقرآنية المُنتقاة لهذا الجانب. وعقدتُ المبحثَ الثالثَ لأستعرضَ فيه بالمقابل جانبَ الأداء التَّرتيليّ والكشف عن أثره كذلك في البيان العربيّ والقرآنيّ. وعرَّجتُ في المبحث الرَّابع والأخير على ضرب طائفةٍ من الأمثلة والنَّماذج التَّطبيقية المُختارة لهذا الجانب من آي الذِّكر الحكيم. وجاءتْ عَقِبَ ذلك خاتمةُ البحث لتكتنف أهمَّ النتائج التي توصَّلتُ إليها، يتلوها ثبتٌ بأهمِّ المصادر والمراجع التي أفدتُ منها في إثراء المادَّة العلمية للبحث.

المبحث الأول

الأداء الصَّوتي وأثره في البيان اللغوي والقرآني

إنَّ للرموز أهميةً بالغةً في حياة البشر، واللغة إحدى هذه الرُّموز؛ ذلك أنَّ وسائل الاستدلال في الوجود كثيرة؛ فقد تكونُ إشاراتٍ، أو علاماتٍ، أو رموزاً مخطوطة، أو صوراً مرسومة، وقد تكون تغيُّراتٍ تطرأ على شكل الإنسان ولونه ونبرة صوته ومُستوى تلك النَّبرة ٱرتفاعاً وٱنخفاضاً؛ فتدلُّ على حالته النفسية والانفعالية. واللغة أهمُّ هذه الدوالِّ وأكثرها إيحاءً.

وقد منَّ الله I على بني الإنسان وكرَّمهم بنعمة القدرة على إنتاج وحداتٍ صوتية دالَّة وموحية، يُعبِّرون بها عن أغراضهم وحاجاتهم، فسَمَوْا بهذه القدرة على مخلوقات الكون كافة. فاللغة الإنسانية هي: ((أصواتٌ يُعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم))[1]؛ ولكنها ليستْ أصواتاً مفردة متناثرة؛ بلْ هي أصواتٌ مُركَّبة دالَّة؛ لأنَّ الصَّوت المفرد مُبهمٌ لا يُؤدِّي وظيفة إبلاغية إلا بائتلافه مع أصوات أُخر، وتكوين مجموعات صوتية دالَّة؛ هي الكلماتُ التي ينشأ منها الكلام[2].

و((العربية - من بين سائر اللغات الإنسانية - لغةٌ كاملةٌ، مُحبَّبةٌ، عجيبةٌ، تكاد تُصوِّر ألفاظُها مشاهدَ الطبيعة، وتُمثِّل كلماتُها خطراتِ النفوس، وتكاد تتجلَّى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتِها خطواتُ الضمير ونبضاتُ القلوب ونبراتُ الحياة... وللأصوات في اللغة العربية وظائفُ بيانية وقيم تعبيرية))[3].

وإنما قال الأستاذ الدكتور فرحان سليم: ((من بين سائر اللغات الإنسانية))، ولم يقلْ: كسائرها؛ لأنَّ مُعظم لغات العالم مُفتقرةٌ إلى اللُّجوء والاستعانة بإشاراتٍ وحركاتٍ وعناصرَ غير لغوية لإيصال المعنى المُراد من اللفظة أو العبارة إلى ذهن المُتلقِّي أو السامع على نحوٍ وافٍ.

أما اللغة العربية؛ فدلالتُها على ذلك كلِّه ذاتية؛ إذ إنَّ كلَّ كلمة فيها مُتخصِّصة بدِّقة برَسْم جزءٍ مُحدَّد من الصُّورة، وبيان جانبٍ مُعيَّن من المعنى؛ فتمنحُنا بذلك الحدَّ الجامع المانع لكلِّ لفظةٍ مع مدلولها أو مدلولاتها. وما الإشاراتُ والحركاتُ والنَّبرات إلا مُتمِّماتٌ داخلة في باب النافلة، وما هي بالفرض المضروب عليها، كذلك المضروب على أخدانٍ لها من لغات أخرى عديدة!

إنَّ ((الأصوات اللغوية ليستْ عناصر مُتناثرة؛ وإنما هي نظامٌ مُنسَّق تحكُمُهُ علاقاتٌ خاصَّة في هذه اللغة أو تلك، فهناك قواعد تتجاوز النَّسيجَ المقطعيَّ القائم على توالي الصَّوامت والصَّوائت، هي التي تُحدِّد ذلك الانسجام))[4]. وأكثر ما نجدُ ذلك التناسق الصَّوتيَّ العجيب، وطالما نلمس ذلك الانسجام النَّغَميَّ الفريد بأبهى صُوَرِهِ وأروع حُلَلِهِ في لغتنا العربية المجيدة؛ إذ إنَّ مُفرداتها المُتلائمة مبنيةٌ أكثر من سِوَاها على أصواتٍ مُتناسقةٍ ومُتناغمةٍ ومُنسجمةٍ، يتلاقى جرسُ حروفها مع إيحاء مدلولها، ويُعانقُ الصَّوتُ منها الصَّوتَ حتى نهاية البنية [5]. وتلك ظاهرة مُطَّردة في عُمُوم اللغة العربية

---

[1] الخصائص (33/1).

[2] ينظر: دراسات في اللغة والنحو، للدليمي/ ص116، والبحث الدلالي في تبيان الطوسي/ ص31.

[3] اللغة العربية ومكانتها بين اللغات/ ص4- 5، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص103- 110، والأصوات اللغوية/ ص77- 83.

[4] مبادئ اللسانيات/ ص123.

[5] ينظر: البيان والتبيين (69/1)، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية/ ص206، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص95.

المبينة، يتيسَّر ٱلتماسُها هنا وهناك في بنى ألفاظها ومفاصل تراكيبها، فما بالك بمُعجزتها الخالدة وكتابها الأكبر: القرآن الكريم؟!

تعملُ إيحاءاتُ الحروف وخصائصُها ومعانيها دائبةً على ربط البنية الصَّوتية واللسانية برباطٍ مُحكم، وبيان علاقتها بالبنية المعنوية والدلالية؛ فإنَّ طبيعة الدلالة وهيئتها وماهيتها تعتمد - إلى حدٍّ بعيد - على التحليل الصَّوتيّ اللِّسانيّ لبنية الكلمة، أو الجملة، أو النَّصّ؛ لأنَّ تلك الأشياء تُمثِّل مدارَ الأمر كلِّه ومناطه في منظومة الاتصال والتفاهم وعملية الإبلاغ.

وبذا فإنَّ بالإمكان إيجادَ منهجٍ تفسيريّ شامل للقرآن الكريم يقوم على تعيين وظائف الأصوات، وتحديد دلالة البناء العام للنَّصّ القرآنيّ في ضوء التحليل النَّغَمي. وذلك كلُّه ٱنطلاقاً ممَّا للأصوات اللغوية من أثرٍ لا يتوارى في فهم دلالات الألفاظ اللغوية التي تُفضي بالنَّتيجة إلى فهم التراكيب والبنى النَّصِّيَّة برُمَّتها؛ فمن خلال تلك الأصوات تجري تلك الألفاظُ اللغوية من السَّمع مجرى الصُّور من البصر، وقد تقرَّر في علم اللغة عَدَمُ إمكانية التعامل بالحروف المكتوبة مُجرَّدة من دون تبيُّن وقائعها الصَّوتية [6].

لذا عُدَّت دراسةُ الأصوات أوَّل ما ينبغي أن يُعنى به دارسُ اللغة إذا ما أراد أن يدرس لغةً ما دراسةً علميةً صحيحة. ودراسةُ الأصوات تُتيحُ للدارس أن يقف على طبائع هذه الأصوات وخصائصها حين تتمازج في صور كلمات، ولنْ يُستغنى عنها؛ لأنها تُفسِّر كثيراً من الظواهر اللغوية التي لولا هذه الدراسة؛ لكان الكلامُ فيها ضرباً من الافتراض لا يصمدُ طويلاً أمام البحث العلمي!

فالدارسُ الذي يُحاولُ أن يقف على أسرار اللغة ونظمها وظواهرها ستكون مُحاولاته عبثاً إن هو ٱقتصر في دراسته على ما وصل إليه من مُفردات! فلا بدَّ أن يرجع بالبحث إلى الوراء ليدرس الأصول التي تتكوَّن منها الكلماتُ، ويتعرَّف خصائصَها وما ينبني عليها من ظواهر. وليستْ تلك الأصول التي تتألف منها الكلماتُ إلا الأصواتُ اللغوية التي يُعبَّر عنها بـ«**حروف الهجاء**».

فإذا ما ٱنتهى الدارسُ من معرفة الأصوات والوقوف على خصائصها مُتمازجة مُتآلفة؛ ٱنتقل إلى الخطوة الطبيعية التالية؛ وهي دراسة الكلمات؛ فإنَّ ما ينشأ من تمازج الأصوات له دخلٌ كبير في صنع الكلمات والمفردات وأوزانها وتحديد مدلولاتها، وسيقودُ ذلك بالتَّالي إلى فهم البِنَى الجُملية والنَّصِّيَّة برُمَّتها [7].

إنْ دلَّ ذلك على شيء؛ فإنما يدلُّ على وُجُود مُناسبةٍ طبيعيةٍ بين اللفظ ومدلوله؛ فالألفاظ لدى دارسيها لم تنفصلْ عن دلالاتها الصَّوتية في كثير من الأحيان، كما لم تتخلَّ عن المعاني الدَّالَّة عليها في شتى الوُجُوه المُرتبطة بها عند الإطلاق. وهذا يعني أنَّ الألفاظ تكتسب دلالتها من جرس أصواتها؛ فينشأ ما يُسمَّى بـ«**المناسبة الطبيعية**» بين الأصوات والدلالات[8]. كما يعني أنَّ ((معنى الحرف العربي هو صدى صوتِهِ في الوجدان، أو النَّفس))[9].

إنَّ للجرس والجوانب الأدائية الصَّوتية في آي الذِّكر الحكيم ((دلالاتٍ خاصَّةً أضفتْ على معاني الألفاظ وأصواتها معاني وأبعاداً مفهومية جديدة))[10]؛ وبهذا وغيره من الجوانب الفكرية والبيانية والإعجازية بلغ القرآن الكريم ((الذِّرْوة في التأثير في سمع العربيّ ووجدانه؛ وذلك بعذوبة جرسه، وجمال إيقاعه ونَغَمِهِ، وما لذلك من صلة بالدلالة))[11].

---

6 ينظر حول هذا الموضوع الخطير: العين (1/53- 56)، و(7/81)، وكتاب سيبويه (4/14)، والخصائص (1/46- 47).
7 ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو/ ص198، و210.
8 ينظر: دلالة الألفاظ/ ص62، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص181، و185.
9 خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص2.
10 الصَّوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم/ ص178.
11 الإيحاء الصَّوتي في تعبير القرآن/ ص326.

فممَّا لا إنكار فيه أنَّ واحداً من الجوانب العامة المُهمَّة التي تمتاز بها بياناتُ القرآن الكريم: ((الاتِّساق اللَّفظيُّ الصَّوتيُّ الذي تُدركه الأذن؛ وإنْ لمْ تفهم المعنى أو تعرف العربية. وترتَّب على ذلك سُهُولة نُطقه باللِّسان... وتيسير حفظه عن ظهر قلب؛ حتَّى يحفظه الطِّفلُ الصَّغيرُ كما حفظتْه الأجيال. وليس ثمَّةَ نصٌّ بهذا الطُّول وهذا التَّنوُّع يسَّره الله تعالى للحفظ ككتابه العزيز!))[12].

المبحث الثاني

صور منتقاة لجانب الأداء الصَّوتي في العربية والقرآن

إذا ما عرفْنا ذلك كلَّه؛ فلا محيص لنا من معرفة أنَّ ((التباين بين بيان القرآن وسائر البيان لا يتمثَّل في بعض مُكوِّنات بنائه من ألفاظ الفُصحى والأساليب الإنشائية والصُّوَر البلاغية؛ فهذه وتلك نجدُ أمثالَها في القرآن الكريم، كما نجدُها في كلام العرب. كما لا يتمثَّل في بعض صفات الكلام - تأثيراً وتعبيراً وجمالاً - التي قد نلمسُها بدرجاتٍ مُتفاوتة في كلام البشر، وبأعلى درجة في القرآن؛ بلْ هو في اجتماع صفات الكمال والجمال وبأقصى درجاتها في البيان القرآنيّ بأكمله دُون سواه))[13].

انظرْ - إنْ شئتَ - في قوله {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } [التكوير: 18] تجدْ من الرَّوعة والجمال باجتماع كلمتي «**الصُّبح**»، و«**التَّنفُّس**» ما لا تجده لو جيء بأيِّ كلمة أخرى من كلمات اللغة طُرَّاً لتوضع مكان إحدى الكلمتين بهذا التأثير والتأثُّر العجيب[14]!

وخذْ أيضاً لفظة (مُتَشَاكِسُونَ) في قولِهِ {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} [الزمر: 29] تجدْ أنَّ تلك اللفظة قد دلَّتْ - بحُكم تركيبها الصَّوتيّ، ونَغَمها الموسيقيّ، وإيحائها الجرسيّ - على المُخاصمة والجدل، ولا ريب أنَّ اختيارها منظورٌ فيه بعنايةٍ وقصدٍ إلى تشكيلها الصَّوتيّ، وهذا الإيحاءُ الصَّوتيُّ مُرادٌ هنا؛ إذ ((كان البيانُ القرآنيُّ قد اهتمَّ بمُوسيقى العبارة، وحرص أشدَّ الحرص على تحقيقها))[15].

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى عن إخوة يوسف {قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} [يوسف: 85] ((وهذا التَّعبير القرآنيُّ يعكس الحالة النَّفسية التي كان عليها المَحْكيُّ عنهم؛ فإنهم كانوا يشعرون - كلَّما طرق ذِكْرُ يوسف مسامعهم، أو خطر على قلوبهم - ببشاعة جريمتهم؛ فتتصوَّر لهم في سُويداء قلوبهم، وتتمثَّل لهم أمام سواد أعينهم، وتُجرِّد لهم ضمائرهم سياطاً من الملامة تلذعهم بوقعها في نفوسهم؛ فقد جَنَوْا على أبيهم الشيخ الكبير الحاني، وعلى أخيهم الناشئ الصغير الضعيف، وهم يرغبون في التَّخلُّص من الإحراج الذي يواجهونه كلَّما دار اسمُ يُوسُف على لسانٍ؛ ولا سيَّما لسانُ أبيهم الذي لا ينفكُّ عن ذِكْره، ولا تُبارِحُ نفسُهُ ذكراه! فلا غرو إذ جيء بمثل هذه الكلمات الشديدة النادرة في الحكاية عنهم!))[16].

ومن هنا؛ فقد منح الصَّوتُ اللفظةَ دفقاً دلالياً مُضافاً إلى دلالتها المُعجمية الأصل، يُحَسُّ في عناصر تشكيلها وبنائها. ولمَّا كان ذلك الدَّفقُ مُنبعثاً من عناصره؛ فليس إحساسُهُ مقصوراً على شخص مُعيَّن دون آخر؛ وإنما هو مادَّة دلالية ثرَّة، ذاتُ عطاءٍ جزيل، يُحِسُّه الجميعُ. على أن لا يجُرَّنا ذلك إلى القول باستقلال وحدة الدلالة الصَّوتية بأداء معنى اللفظة في العربية؛ فهي ليستْ دلالةً مُؤسِّسةً للمعنى بقدر ما هي مُؤكِّدةٌ له ضمن عناصر السِّياق.

فالكلمة ليستْ صورةً جامدةً مُجرَّدةً عن المضمون؛ وإنما هي صوتٌ يلفظ؛ ما يجعلها تتَّصل اتصالاً وثيقاً بالمُوسيقى. وعلى هدىً ممَّا تقدَّم يتبيَّن لنا الحرصُ البالغ للُّغة على ائتلاف الجرس، وتيسير التَّعبير، وصفاء الرَّونق، وخفَّة

---

[12] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص408.
[13] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص409.
[14] ينظر: المرجع نفسه/ ص466.
[15] النقد اللغوي عند العرب/ ص293.
[16] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص467.

الأداء. والجرس - الذي تشعُّ به هذه اللفظة أو تلك - يُوحي في نفس المُتلقِّي بصورةً ذهنيةً تُناسبُ إيقاعه، وتُشيعُ فيه جوَّاً نفسياً مُعيَّناً له القدرةُ - بما تُضفيه من شُخُوصٍ حيَّةٍ غاديةٍ ورائحةٍ - على تجسيد صورٍ تتناسبُ والجوَّ المُوسيقيَّ النَّفسيَّ الذي يُحدِثُهُ إيقاعُ ذلك الجرس ومُوسيقاه. والألفاظ - كما مرَّ بيانه - تجري من السَّمع مجرى الصُّور من البصر[17]!

والبيانُ القرآنيُّ الفريدُ الذي أُنزِلَ على عادة العرب وأنماط عيشهم وسَنَنهم في الخطاب، كان قد آهتمَّ هو الآخر بمُوسيقى اللفظة؛ فوافق ذلك هوىً لدى العرب ذوي الأحاسيس المُرهَفَة، والأرواح الهفهافة، والنُّفوس الذَّوَّاقة؛ وبذا قضى لأذواقهم الشفيفة وَطَراً وهم المُولَعون بسِحْر الكلمة، الناشدون لخفَّتها وعُذُوبة وقعها! وحين مَرَنوا على صناعة المنثور والمنظوم، ورَشَحَتْ أقدامُهم فيهما؛ كان أحبَّ شيء إلى نفوسهم أن تصدُرَ عنهم العباراتُ المُتناغمة التي تتعادل وحداتها الصَّوتية، وتتوافق من حيث الأوزان[18].

لقد بلغتْ هذه الخاصِّيَّة المُوسيقية ذِرْوتها في التركيب القرآنيّ؛ فأنت تُحِسُّ في سُورة العاديات مثلاً عدو الخيل {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5) } [العاديات: 1 - 5] وتتنوَّع مجالاتُ الأوتار الصَّوتية والأنغام المُوسيقية في القرآن المجيد بتنوُّع المجالات التي تتطرَّق إليها وتعدُّد القضايا التي تُعالجُها - وما أكثَرَها! - فحينما نسمع قوله { هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (36)} [المؤمنون: 36] فسُرعانَ ما نستشفُّ جرساً إيحائياً تُوصي من خلاله دلالة تلك الأصوات التي تصُكُّ الأسماع بلغة الموعظة والوعيد؛ فتخشعُ لها القلوبُ، وتَهَشُّ لها النُّفُوسُ، وتخضعُ لها الألبابُ!

أمَّا في مجال الخشية والرَّهبة؛ فقد قال تعالى {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا } [طه: 108] وهذا مُتأتٍّ من الحالة النَّفسية التي يشعر بدلالتها المسلمون بعد نزول هذه الآية وهي تُخاطبهم بهذه الأصوات المُوحية بالتَّواري والاستتار، والتي أخجلتْهم حين سماعها، وتركتْ فيهم أثراً نفسياً عميقاً [19].

و((في بعض مواقف الدُّعاء القرآنية نداوةٌ ولينٌ، وفي بعضها الآخر صَخَبٌ رهيبٌ! ها هو ذا نوح υ يدأب ليلاً ونهاراً على دعوة قومه إلى الحقّ، ويُصِرُّ على نُصحهم سرَّاً وعلانيةً، وهم يلجُّون في كُفرهم وعنادهم، ويفرُّون من الهدى فراراً، ولا يزدادون إلا ضلالاً وآستكباراً. فما كان من نوحٍ - وقد أيِسَ منهم - إلا أن يتملَّكه الغيظُ، ويمتلئ فوه بكلمات الدُّعاء الثائرة الغضبى تنطلق في الوُجُوه مديدةً مُجلجلةً بمُوسيقاها الرَّهيبة، وإيقاعها العنيف! وما أظنُّك تتخيَّل الجبال إلا دكَّاً، والسماء إلا مُتجهِّمةً عابسةً، والأرض إلا مُهتزَّةً مزلزلةً، والبحار إلى هائجةً ثائرةً، حين دعا نوح على قومه بالهلاك والتَّبار، {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح: 26، 27]

أما الحناجرُ الكظيمةُ المكبوتةُ التي يترُكُها القرآنُ في بعض مشاهِدِهِ تُطلِقُ أصواتَها الحبيسةَ بكلّ كَرْبها وضيقها وبحَّتها وحشرجتها؛ فهي حناجرُ الكافرين النَّادمين يوم الحساب العسير. ولنا الآن أن نتمثَّل شِرْذِمةً من أولئك المُجرمين تلفح وجوههم النار؛ فيتحسَّرون، ويُحاولون التَّنفيس عن كَرْبهم ببعض الأصوات المُتقطِّعة المُتهدِّجة؛ كأنهم بها يتخفَّفون من أثقالٍ تنقُضُ ظهورهم، ويُفرِغون عن طريقها ما يعانون من عذابٍ أليمٍ كما يُفرِغُ الموسومُ سوءَ العذاب آهاتِهِ وأنينَهُ، وإذا هم يوم الدِّين يدعون ربَّهم دُعاء الثَّائبين النَّادمين ويقولون: {يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا }[20] [الأحزاب: 66 - 68]

---

[17] ينظر: التصوير الفني/ ص78- 86، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ الصفحات: 52، و82، و214، والنقد اللغوي عند العرب/ ص110.

[18] ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص91، والنقد اللغوي عند العرب/ ص294.

[19] ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص211.

[20] مباحث في علوم القرآن، للصالح/ ص339، وينظر: ص337- 338، وينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص126.

وقولَه { مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [العنكبوت: 41] أستعمل القرآنُ الكريمُ لفظة «**أوهن**» دُون «**أوهى**» لتُحدِثَ واقعاً خاصّاً ووقعاً مُؤثِّراً يُشعِرُ بالضَّعف المُتناهي، وهذا كلُّه إنما كان بتأثيرٍ مُباشرٍ من دلالة اللفظ وإيحائه الصَّوتيّ؛ إذ أحدثتْ فيه النُّونُ - وهي من الصَّوامت الأنفية - صدىً وإيقاعاً، وأضفتْ إليه جرساً ورنيناً ما كانت الألف المقصورة لتُحدِثَه! وما كان هذا التَّشبيهُ المُعجِز ليتمَّ بهذا الشكل المُؤثِّر لولا هذا الانتقاءُ الصَّوتيُّ المُوفَّق للَّفظ[21].

ولفظ «**الزَّحزحة**» في قوله { يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ} [البقرة: 96] وقوله {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران: 185] يُوحي للسَّامع بصوتِهِ الأزيزيّ الصَّارخ بصورة الزَّحزحة المعروفة كاملةً مُتحرّكةً عبر لفظةٍ مُفردةٍ، مُوحية، مُعبّرة، شافَّة، عمَّا تحتها! فـ((صوتُ زحزح أبلغ من «**زُحَّ**»؛ لِمَا فيه من التكرار. وفيه تصويرٌ لمعنى تراجع الخطى أن تتزلَّف القوم؛ فيهوي صاحبُها في النار؛ إذ إنّ في تكرير صَوْتَي «**الزاي**»، و«**الحاء**» إيحاءً بهذا المعنى، فالذي يُعاني من شيءٍ ثقيلٍ على نفسه؛ يُكرّر مثلَ هذين الصَّوتين!))[22].

ولفظة «**إثَّاقَلتم**» في قوله {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} [التوبة: 38] تسمعها الأذنُ؛ فيتصوَّر الخيالُ ذلك الجسمَ المُتثاقلَ ليس بصوته؛ وإنما بتأليف حروفه، وبالبُعد الصَّوتيّ الناتج من خلال هذه الحروف المُتثاقلة. ولو أنك قلتَ: «**تثاقلتم**»؛ لخفتَ الجرس، ولضاع أثرُ التَّشرُّد، ولتوارت الصُّورة المطلوبة التي آشتغل اللفظ برَسْمها. وعلى ما في كلمة اثاقلتم من صعوبةٍ واضحة في النُّطق، وثقلٍ بيّنٍ على السَّامع لا يُحِسُّهما الإنسانُ في الكلمة الأخرى «**تثاقلتم**»؛ لكن الأُولى بتشكيلها الصَّوتيّ ضروريةٌ في موطنها الذي وردتْ فيه!

ولفظةٌ أخرى طويلة في حروفها؛ لكنَّها جميلةٌ بصوتها، مُنسابةٌ بتسلسُل حروفها؛ كما في قوله {فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 137] وقوله { وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ} [الأنعام: 80] وقوله {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} [الشعراء: 94].. فكلمة فكبكبوا كأخواتها يُحدِثُ جرسُها صوتَ الحركة التي تتمُّ بها، ويُصوّرها للسَّامع أدقَّ تصويرٍ وأتمَّه وأوفاه!

لقد حفل القرآن الكريم بهذه الظاهرة الصَّوتية، وكان لها أثرٌ مباشرٌ وكبيرٌ في تحديد المعنى العامّ للتَّعبير ورَسْمه؛ إذ نراه ((يستعملُ الألفاظ ذات الجرس المُوسيقيّ النَّاعم الرَّخيّ، والسَّلِس المُوحي في المواضع التي يشيعُ فيها جوٌّ من الحياة الهانئة السَّعيدة الجميلة... ويبدو العكس في مواضع كثيرة أخرى؛ إذ قد تتَّسم المُوسيقى بالقوَّة والشِّدَّة المُناسبة للمعنى الذي أراد تصويره وبيانه!))[23].

وبذا نجدُ من التلوينات الصَّوتية في آي الذكر الحكيم ما يتعلَّق بالحكاية الصَّوتية في جانب حكاية الصَّوت لمعناه ودلالته؛ فيتعانق الصَّوت مع الصُّورة معاً لأداء لوحةٍ دلالية معجزة؛ وبذا ((أسهمت التلويناتُ الصَّوتية بشكلٍ واضح ومُميَّز في عملية آنتقاء المفردة القرآنية في السِّياقات الجزئية والكلِّيَّة؛ وذلك من حيثُ إبراز القيمة الصَّوتية لهذه المفردة أو تلك في آئتلاف أصواتها، وأداء دلالاتها... فبرزتْ الكلماتُ القرآنية على أتمِّ ما يكون من التوظيف، وأجملِ ما يكون من الإيحاء الدَّلاليّ، وأبهى ما يكون من النَّظم السِّياقي))[24].

ومن تلك التلوينات الصَّوتية البديعة الأخرى سوى ما تقدَّم: ما جاء في قوله {الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة: 1 - 3] فإنَّ الكلام مُستمرٌّ في ذِكْر القيامة، و«**القارعة**»: البلبلة التي تقرع القلبَ. وأنت تسمع

---

[21] ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص78، والصَّوت اللغوي في القرآن الكريم/ ص190.

[22] ينظر: المرجع نفسه/ ص122- 123.

[23] الجرس والإيقاع في التعبير القرآني/ ص335، وينظر: ص345، والعلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم/ ص8.

[24] أثر التلوينات الصَّوتية في الدلالة القرآنية/ ص382، وينظر: ص385، والتصوير الفني/ ص34، و36- 38، و78- 86، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم (262/1- 263، و408)، وجرس الألفاظ/ ص28، و285، و313.

لفظة «**القارعة**» تتكرَّر ثلاثَ مرَّاتٍ كأنها صوتُ الضرب بالمِقْرعة! وآشتملت اللفظة على القاف والعين؛ وهما - عند الخليل - أطلقُ الحروف وأضخمُها إيقاعاً ورنيناً [25]؛ لأنَّ المقام يقتضي جرساً عالياً يقرع بشدَّةٍ الكفر وأهله[26].

بهذا المقياس الدَّقيق، والميزان المُنضبط كانتْ ألفاظُ القرآن الكريم طبقاً لمعانيه؛ إذ أشاع في الاستعمال أصفى ألفاظ اللغة جَرْساً، وأرهفها في السَّمع حِسَّاً، وأدقَّها تعبيراً، وأحلاها نَغَماً، وأنداها لفظاً، وأشدَّها في الضَّمير وقعاً، وأبلغها في النَّفس أثراً. وأورد كلَّ لفظة في مكانها المُناسب ببراعةٍ فائقة، وآلتزم بالغَ حُدُود الدِّقَّة في مُراعاة دلالة الألفاظ، وإيرادها مواردها بطريقةٍ تَعْجَزُ عنها الخلائقُ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً [27].

فلا غرابة بعد هذا وذاك أن يكون آستقراءُ ملامح الظَّاهرة الصَّوتية في التُّراث العربيّ والإسلاميّ يُوصلنا إلى أنَّ القرآن الكريم قد نبَّه بكلّ تأكيدٍ على مهمَّة الصَّوت اللُّغويّ في إثارة الإحساس الوجْداني، وإيقاظ الضَّمائر الإنسانية عند آستعماله بعض الكلمات المُنتقاة بحكمة في جمهرةٍ من سوره الكريمة؛ مُشكِّلاً بذلك بداية الصَّوت اللُّغويّ عند العرب[28].

ونجدُ في القرآن الكريم دلالاتٍ صوتيةً وصيغاً تعبيرية قوية ومُترجمةً عن أحداثها العصيبة بمدلولاتها اللغوية وتراكيب حُرُوفها المُوحية بالكرب والشِّدَّة والثِّقل؛ كقوله {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [فاطر: 37] ممَّا يُوحي بأنَّ الصُّراخ قد بلغ لدى المُصطرخين في ذلك اليوم العصيب ذِرْوته، ويُشيرُ إلى أنَّ الاضطراب قد تجاوز مداه، وأنَّ الأصوات العالية المُتداخلة والمُدوّية والفظيعة بدأتْ ترتطم بعضُها ببعض؛ علَّها تجدُ سامعاً أو مُغيثاً أو مُتنفَّساً!

يتَّضحُ ممَّا تقدَّم أنَّ للدَّلالات الصَّوتية فاعليةً عاليةً؛ إذ تخضعُ في مُعظم الأحيان لانطباعاتٍ مبعثُها إحياءُ الأصوات. ويُشكِّلُ الصَّوتُ في النَّسق اللُّغويّ مُنطلقاً للوعي والتأثير؛ إذ قد يكونُ هنالك صوتٌ بعينه أو مجموعةٌ من الأصوات يكونُ لها في النَّفس مغزىً، أو تبعثُ في قرارتها شُعُوراً مُعبّراً؛ وعندها تتفوَّق دلالةُ جَرْس الصَّوت وإيقاعه على منطق اللغة؛ فيخرج آنئذٍ عن كونه صوتاً مَحْضاً إلى دلالةٍ تُعزّز المعنى وتُؤكِّده وتُقوّيه، وتبعث فيه الحركة والحياة[29]!

خُلاصةُ الأمر أنَّ الحرف بدلالته الصَّوتية يُشيرُ إلى المعنى أو يُحاولُ الإيحاءَ به؛ بحيثُ يُمكننا القولُ بأنَّ أصوات اللغة العربية تدلُّ دلالةً قويةً وأكيدةً على المعاني، وعندها تُثيرُ في النَّفس أجواءً وتُهيّئها لقبول تلك المعاني أو الإيحاء بها؛ لأنَّ الدلالة الصَّوتية تلعبُ دوراً مهماً في توجيه معنى الكلمة والعبارة والنَّصّ، وتحديد مداليلها جميعاً. بَيْدَ أنَّ هنالك تفاوتاً بيّناً وفروقاً ملموسةً في القدرة التَّعبيرية بين الأصوات المُختلفة في اللغة، وهذا هو السِّرُّ الكامن في التَّفاوُت وآختلاف نِسَبِ التأثير في الكلمات المُعبّرة بأصواتها عن معانيها ومدلولاتها!

ممَّا تقدَّم نخلُصُ إلى نتيجة مهمة، مفادُها أنَّ ((هذا القرآنَ - في كلّ سُورةٍ منه وآيةٍ، وفي كلّ مقطعٍ منه وفقرةٍ، وفي كلّ مشهدٍ منه وقصَّةٍ، وفي كلّ مَطْلَعٍ منه وختامٍ - يمتاز بأسلوبٍ إيقاعيّ غنيّ بالمُوسيقى، مملوءٍ نَغَماً؛ حتَّى ليكونُ من الخطأ الشَّديد في هذا الباب أن نُفاضِلَ فيه بين سُورةٍ وأخرى، أو أن نُوازنَ بين مقطعٍ ومقطع... وإنَّ هذه المُوسيقى الدَّاخلية لتنبعثُ في القرآن حتَّى من اللفظة المفردة في كلّ آية من آياته؛ فتكاد تستقلُّ - بجَرْسها ونَغَمها - بتصوير لوحةٍ كاملة فيها اللونُ زاهياً أو شاحباً، وفيها الظِّلُّ شفيفاً أو كثيفاً... فإنْ يكُ هذا كلُّه في اللفظة المُفردة تُعبّر

---

[25] يقول رحمه الله: ((العين والقاف لا تدخلان في بناءٍ إلا حسُنتاه؛ لأنهما أطلقُ الحروف وأضخمُها جرساً، فإذا آجتمعا أو أحدُهما في بناءٍ؛ حسُن البناءُ؛ لنصاعتهما)) [العين (53/1)].

[26] ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص120.

[27] ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص261، وجرس الألفاظ/ ص127، وص203، وصفاء الكلمة/ ص9، و61.

[28] ينظر: منهج البحث الصَّوتي عند العرب/ مجلة الضَّاد (العدد الثالث)، ص88.

[29] ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص204.

مستقلة عن لوحةٍ كاملة، فكيف بالآية التي تتناسقُ في جوّها الكلماتُ، أو في السُّورة التي تنسجمُ حول فكرتها جميعُ الآيات؟!))[30].

المبحث الثالث

الأداء الترتيلي وأثره في البيان اللغوي والقرآني

يَزْخَرُ القرآنُ الكريمُ بالكثير من المظاهر الصَّوتية التي لها دلالتُها المُتميّزة في أدائه؛ ممَّا يُعينُ على فهم المُراد منه بأيسر طريقٍ وأوضحه. ومن بين أهمِّ تلكم المظاهر: أن يُعربَ القارئ عن المعنى بطريقة نُطقه؛ فيتلقَّفه السَّامع مُباشرةً، من غير عناءٍ أو مشقَّةٍ أو عُسرٍ. ولعلَّ هذا الأداءَ العلميَّ الدَّقيق واحدٌ من أهمِّ ميزات أن يُؤخَذَ القرآنُ الكريم مُشافهةً، لا قراءة من المصاحف المكتوبة؛ إذ لا يُمكنُنا في كثيرٍ من الأحيان أن نجد في المصاحف المُعتَمَدة علاماتِ ترقيمٍ تهدينا إلى معاني الأساليب المُختلفة المقامات في القرآن الكريم، أو ترابط الكلمات والجُمل وعلاقات بعضها ببعض؛ فتكون طريقةُ نُطق الآيات وكيفية أدائها على وجهها الصَّوتيّ والنَّغميّ الصَّحيح خيرَ هادٍ إلى تلك المعاني النَّاطقات، والوُقُوف على تلك المرامي والعلاقات[31].

إنَّ لطبيعة أداء العبارة، وطريقة النُّطق بها في اللغة أثراً واضحاً ومُهمَّاً في صياغة المعنى، وتوجيه الدلالة؛ ذلك أنَّ ((اللغة المنطوقة هي اللغة المُثلى للمُحاكاة؛ لأنها الوحيدةُ القادرةُ على حَمْل التَّعابير التي يُريدُ المُتكلِّم أن يُبلِّغ عنها))[32]؛ فبتلوُّن الإيقاع، وتعدُّد الأنغام، وٱرتفاع النَّبرات وٱنخفاضها... تتلوَّن المعاني، وتتشعَّب الدلالاتُ، وتتعدَّد الأغراضُ[33].

فالمعنى غالباً ما يكون مُتضمَّناً داخل التَّعبير المنطوق بطريقةٍ ما؛ ولذلك ركَّز النُّحاة وعلماءُ التفسير والبلاغة والإقراء على اللغة المنطوقة؛ فتعرَّضوا للعلاقة بين المُتكلِّم وما أراده من معنىً، والمُخاطب وما فهمه من الرِّسالة، والأحوال المُكتَنِفة لها ممَّا يتكامل به مضمونها، وأولوا جلَّ ٱهتمامهم بمعرفة الظروف المُحيطة بالحدث الكلاميّ برمَّته؛ ذلك أنَّ الكلمة لا معنى لها خارج النَّصّ اللغويّ الذي تردُ فيه، وربَّما ٱتحد المدلولُ وٱختلف المعنى طبقاً للسياق الذي قيلتْ فيه العبارة، أو طبقاً لأحوال المُتكلِّمين، والزَّمان والمكان اللذين قيلتْ فيهما[34].

فنحن مهما حاولْنا فهمَ معنىً في نصّ مُحتمل الدلالة؛ وجدْنا أنفسنا مُحوَجين إلى ما يُسمَّى بـ«**ٱنضمام القرينة**» التي تُعيننا على فهم مُراد المُتكلِّم أو صاحب الشرع، وقد تكون تلك القرينةُ مُصاحبةً للنَّصّ أو خارجةً عنه؛ سواءٌ كانت لفظية، أو معنوية، أو لغوية، أو عقلية، أو عُرفية، أو حالية[35]؛ ومن هنا تعدَّدت المُصاحباتُ وتنوَّعت القرائنُ التي تحقِّق الوُضُوحَ الذي يُعدُّ ركناً رئيساً في الكلام عند العلماء.

إنَّ مُراعاة هذه الاعتبارات المُختلفة تُمثِّل الاتجاه الصَّحيحَ في الكشف عن المعنى، وتطبيق هذا المنهج ينبغي أن يصدُق على النُّصُوص المنطوقة ذات المقام الحاضر الحيّ، كما ينبغي أن يصدُق على النُّصُوص ذات المقام المُنقضي. ومن هنا تأتي قيمةُ هذا المنهج لدراسة كُتُب التُّراث العربي، وإنَّ الاكتفاء بالمعنى الحرفيّ، أو معنى المقال، أو معنى ظاهر النَّصّ ليُعدُّ دائماً سبباً في قُصُور الفهم أو في إساءته! لذا؛ فقد أولى المُفسِّرون وأربابُ اللغة هذا الجانبَ ٱهتماماً بيّناً،

---

[30] مباحث في علوم القرآن، للصالح (334- 336)، وينظر: التصوير الفني/ ص78- 86، والتعبير البياني/ ص6.

[31] ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم/ ص115، والمظاهر الصَّوتية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل/ ص1، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص494.

[32] مدخل إلى معرفة اللسانيات/ ص111، وينظر: الصَّوت والدلالة/ ص143.

[33] ينظر: مقدمة لدراسة فقه اللغة/ ص132.

[34] ينظر: النحو والدلالة/ الصفحات: 33، و36، و98، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص479، وأصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية/ ص1.

[35] ينظر: اللغة العربية - معناها ومبناها/ ص194 وما بعدها، والقرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني/ ص8- 9، والأوجه الإعرابية/ ص54.

وعدُّوه من أولوياتهم، وجعلوه واحداً من الأُسُس والضَّوابط المهمة التي تقومُ عليها دراساتُهُم وتحليلاتُهُم للنَّظريات والنُّصُوص اللُّغوية والشَّرعية[36].

فالمُستوى اللُّغويّ بمفرده قاصر عن الكشف سوى عن المعنى المقاليّ - الحرفيّ - للنَّصّ، بمعزلٍ عن المُحتوى الاجتماعيّ والثقافيّ له بحَسْب ما تُؤدِّيه القرائنُ المُتنوّعة؛ فـ«**المقال**» لا يُحدِّد الدّلالة المقصودة للفظة إلا باقترانه بـ«**المقام**»، أو «**سياق الحال**» المُصاحِب له؛ إذ يشتمل الأخيرُ على عناصر كثيرة مُتكاملة تتَّصل بالمُتكلِّم، والمُخاطب، والظروف المُلابسة، والبيئة، يفتقر إليها الأوَّلُ؛ ذلك أنَّ آستجلاء المعنى على المُستوى الوظيفيّ: الصَّوتيّ، والصَّرفيّ، والنَّحويّ، وعلى المُستوى المُعجميّ، لا يمنحنا في أقصى إمكاناته سوى المعنى الحرفيّ، أو معنى ظاهر النَّصّ، وهو معنىً فقيرٌ وجامدٌ وفضفاضٌ من مُحتواه الاجتماعيّ والتاريخيّ، خالٍ تماماً ومُنعزلٌ عن كلّ ما يُحيطُ بالنَّصّ من القرائن الحالية؛ وذلك هو المعنى المقاليُّ المُشتملُ على القرائن المقالية فحَسْبُ! وهناك المعنى المقاميُّ الحاملُ لظروف أداء المقال، أو قرائن الحال التي يتمُّ من خلالها الفهمُ التَّامُّ للنَّصّ، والوفاء بأغراضه، وآكتنافه والإحاطة به من جميع جوانبه[37]!

فحين نسمعُ - مثلاً - عبارة: «**أهلاً وسهلاً**»! في مقام الترحيب بمن طالت غيبته؛ سيكونُ لها حتماً مدلولٌ نغميٌّ أدائيٌّ غيرُ الذي نسمعه في مقام توبيخ مَنْ تأخَّر عن موعد حُضُوره، وغير ما نسمعه في معرض السُّخرية ممَّن أتى بما لا يُحمَد الإتيانُ به! فكثيرٌ من التَّعبيرات لا يُفهمُ على نحوٍ دقيق إلا بالوُقُوف على السِّياقين اللَّفظيّ والحاليّ المُصاحبين لها معاً [38].

ومن ذلك ما أنشده الكُمَيْت:

طربتُ، وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً مني، وذو الشيب يلعبُ

فقولُه: «**ذو الشيب يلعبُ**» يحتملُ الاستفهامَ الاستنكاريَّ بهمزةٍ محذوفةٍ، ويحتمل أيضاً التَّقريرَ والإخبارَ، في حين إنَّ اللغة المنطوقة من شأنها قطعُ دابر الخلاف في المسألة من خلال حُضُور سياق الحال المُتمثِّل بالإشارة أو نبرة الصَّوت المُؤدَّاة بها العبارةُ؛ لتكون الفيصلَ في الحكم على تحديد المُراد من بين سائر الاحتمالات المطروحة[39]؛ ((ففي بعض الأحيان لا يُمكنُ العُثُورُ على الدَّليل الذي يُرشدُنا إلى المعنى الصَّحيح لمُصطلحٍ لُغويّ داخل الجملة نفسها؛ بلْ نستمدُّ ذلك من مُجمل المُحادثة))[40].

وفي هذا السياق الخطير يقرر الإمامُ أبو حامد الغزاليُّ رحمه الله بأن طريقُ فهم المرادُ من النص المكتوب إنما يكون بتقدُّم المعرفة بوضع اللغة التي بها المُخاطبة، فإنْ تطرَّق إليه الاحتمالُ؛ فلن يُعرفُ المُرادُ منه حقيقةً إلا بانضمام قرينةٍ إلى اللفظ، والقرينة إمَّا لفظٌ مكشوف، وإمَّا إحالةٌ على دليل العقل، وإمَّا قرائنُ وأحوالٌ من إشاراتٍ ورُمُوزٍ وحركاتٍ وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتَّخمين، يختصُّ بدَرْكها المُشاهِدُ لها؛ حتَّى تُوجِبَ علماً ضرورياً يُفهِمُ المُرادَ! فكلُّ ما ليس له عبارةٌ موصوفةٌ؛ تتعيَّنُ فيه القرائنُ. فما دامتْ دلالة الألفاظ ليستْ كلَّها قطعية؛ فإنَّ الدلالة اللغوية للألفاظ تبقى قاصرةً عن تحديد المعنى المُراد في كثير من الأحيان[41].

فالدلالة المعنوية إذاً تُستمدُّ من إقامة علاقات وصِلَاتٍ تكامليةٍ بين الأصوات في اللفظ الواحد، والألفاظ في الجُمل، والجُمل في التَّراكيب والسِّياقات العامة، على وَفْق ما تُمليه وتسمحُ به قوانينُ اللغة وضوابطُها وحُدُودُها؛ إذ ليست

---

36 ينظر: اللغة العربية - معناها ومبناها/ ص372.

37 ينظر: اللغة العربية - معناها ومبناها/ ص337- 339، والبحث البلاغي عند الأصوليين/ ص314، ودراسة المعنى عند الأصوليين/ ص214.

38 ينظر: الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي/ ص125، واللغة العربية - معناها ومبناها/ ص337، ودراسة المعنى عند الأصوليين/ ص213- 217، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص298- 301.

39 ينظر: البحث البلاغي عند الأصوليين/ ص300، و313 وما بعدها.

40 نحو علم الترجمة/ ص208، وينظر: دراسات في علم اللغة/ ص165، واللغة العربية - معناها ومبناها/ ص123- 124.

41 ينظر: المستصفى/ ص185، والبحث البلاغي عند الأصوليين/ ص306، ودراسة المعنى عند الأصوليين/ ص229.

اللغة سوى ((مجموعةٍ من القوانين الوضعية؛ سواءٌ كانتْ على مُستوى المُفردات «**الألفاظ**»، أم على مُستوى التَّراكيب «**الجُمل**»))[42].

نخلُصُ من ذلك كلِّه إلى أنَّ ((الكلماتِ في التَّركيب تكتسبُ قيمتَها من مُقابلتها لِمَا يسبقها أو يَلْحَقها من كلمات))[43]، أو ما يُسمَّى بـ«**المصاحبات اللغوية**»؛ إذ لا تتَّضح القيمةُ التَّعبيريةُ للَّفظ أو التَّركيب اللُّغويِّ بشكلٍ نهائيٍّ إلا بتحديد علاقتها بمُجاورتها لِمَا يسبقها أو يلحقها من ألفاظٍ في العبارة أو في النَّصِّ أو في الكتاب كلِّه؛ وذلك لأنَّ الحكم على ((دلالة اللفظ في نصٍّ ما أدقُّ وأوثقُ مما لو آستقيناه من المعاجم وحدها))[44]؛ ولأنَّ معنى الكلمة ((هو مجموعُ السِّياقات التي تُشكِّل تلك الكلمةُ جزءاً منها))[45].

وبذا تجري في الكلام المنطوق قرائنُ عديدةٌ يُتوصَّل من خلالها إلى وُضُوح الغرض المنشود الذي سيق الكلامُ قصد بُلُوغه. فاختيارُ الألفاظ المُناسبة للنُّطق قرينةٌ، ونوعُ الصَّوت الذي يُنطقُ به قرينةٌ، ودرجتُهُ في الارتفاع والانخفاض قرينةٌ، وملامحُ الوجه أثناء النُّطق قرينةٌ... وغيرها من القرائن العديدة الأخرى ممَّا من شأنه أن يُسهِمَ في بُلُوغ المعنى المُراد.

وغالباً ما يتمُّ الاكتفاءُ بتلك القرائن المُهمَّة من دُون أيّما حاجة إلى أية وسيلة إفهامٍ أخرى؛ وإنما يكتفي المُتكلِّم - في إيصال فكرته، وإبلاغ رسالته - بتحديد نمط أسلوبه، وتوجيه حركة شفتيه، وتقسيم ملامح وجهه، وآنتقاء صفة صوته ومُستوى نبرته! وكانتْ تلك القرائنُ يوم كانت اللغة تُتناقل شِفَاهاً هي الوسيلةَ الرَّائدةَ واللُّغةَ السَّائدةَ والمُتداوَلَة بين تلك الأوساط وقتئذٍ؛ لذا عُدَّت اليوم واحدةً من أهمِّ ضوابط لغة التَّخاطب والحوار! فهذه كلُّها قرائن تتَّحد مُجتمعةً لتؤدِّيَ مادَّة الإفهام، والشُّعُور بإحساسٍ واحدٍ لدى كلٍّ من المُتكلِّم والمُتلقِّي؛ وبذا تنجح عملية الاتصال المُتمثِّلة بالإيصال والتَّلقِّي نجاحاً يُؤدِّي بدوره إلى نجاح لغة الحوار[46].

ومن هنا؛ فقد آهتمَّ المُحدَثون من الباحثين في مجال اللغة والمباحث القرآنية أيَّ آهتمامٍ بدراسة ظواهر صوتية ذكروا أنها ليستْ أصواتاً يُمكنُ تحديدُ مخارجها أو صفاتها؛ لأنها تكونُ أبداً مُصاحبةً للأصوات ومُلازمةً لها ومُختلطة بها، وأنها ليستْ كلماتٍ أو جُملاً؛ بلْ هي الطريقة التي تُؤدَّى بها الكلمةُ أو الجملةُ، وأشاروا إلى أنَّ أهمَّ تلكم الظواهر: النَّبر، والتَّنغيم، والوقف، والسَّكت[47].

وممَّا ذكروه في هذا الباب أيضاً أنه لا تكادُ لغةٌ من اللغات تخلو من هذه المظاهر الصَّوتية؛ بحُكم مُلازمتها للُّغة، وأنها جزءٌ من العادات النُّطقية للمُجتمع الذي يعتمدها في الحوار والنُّطق، وهي كالقوالب في أنَّ الكلام يأتي بحَسَبها. ومع ذلك؛ فإنَّ اللُّغاتِ مُتفاوتةٌ في مدى التَّعويل عليها والإفادة منها في التَّمييز بين المعاني المُختلفة[48].

وينبغي أن أُشيرَ هنا إلى أنَّ الظواهر الصَّوتيةَ المشار إليها آنفاً خاصَّةٌ باللغة المنطوقة؛ إذ يفهمُ السَّامعُ في طريقة نُطق المُتكلِّم وأدائه الصَّوتيِّ للعبارة المعنى المُرادَ. وهذا ما نجدُهُ ملموساً في بعض آيات القرآن الكريم الذي يُعتَمَدُ فيه على المُشافهة، فلو نظرنا إليه بوصفه نصَّاً مكتوباً؛ فإننا لا نجدُ فيه علاماتِ ترقيمٍ تدلُّ على معاني الاستفهام، والتَّعجُّب، والإنكار وغير ذلك من الأساليب التي قد لا تظهر إلا بطريقة الأداء وغيرها؛ لذا كان لزاماً على المُقرئ المُدقِّق، أو القارئ المُحقِّق أن يُؤدِّيَها بطريقةٍ تُوحي بالمعنى المطلوب. وهذا الأمرُ ليس مقصوراً على القرآن الكريم، وإنما

---

42 مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني/ ص14.
43 البلاغة والأسلوبية/ ص230.
44 دلالة الألفاظ/ ص213.
45 بنية اللغة الشعرية/ ص106، وينظر: البحث البلاغي عند الأصوليين/ ص312.
46 ينظر: معاني النحو (12/1)، والأوجه الإعرابية/ ص53، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص204.
47 ينظر: دراسة الصَّوت اللغوي/ ص185- 186، والتوجيه الصَّوتي في دراسة النحو العربي/ ص17- 18.
48 ينظر: دراسة الصَّوت اللغوي/ ص187، والتوجيه الصَّوتي في دراسة النحو العربي/ ص20.

هو في كلام العرب شعراً ونثراً؛ فتكونُ طريقةُ الأداء بذلك جزءاً من النِّظام النَّحويّ الذي تقومُ عليه معاني كلمات اللغة ودلالاتها المُتنوّعة[49].

فإذا كان السِّياقُ بأنواعه قرينةً دالَّةً على فهم النُّصُوص المكتوبة؛ فإنَّ واحداً من العوامل المُهمَّة والظواهر البارزة في فهم مدلولات النُّصُوص المنطوقة هو طريقةُ الأداء اللُّغويّ المُصاحبة للجُمل، أو ما يُطلقُ عليه آسم «**التطريز الصَّوتي**»، وتتمثَّل ظواهرُ هذا الأداء المُصاحِبِ بالتَّنغيم، والنَّبر، والجَرْس، والفاصلة الصَّوتية، أو ما يُعرَفُ بالوقف؛ فالتَّنغيم يُميّز لغة الخطاب عن اللغة المكتوبة؛ فهو في الأولى كما التَّرقيم في الثانية تماماً أو يزيد، كلٌّ منهما يقوم بوظيفةٍ دلالية في تحديد المعنى ومزيد بيانه[50].

فبالتَّنغيم تُحَلُّ كثير من مُشكلات الدلالة اللغوية المُتعلِّقة بالأصوات والسِّياقات التَّركيبية، وبه أيضاً يتمُّ تعيينُ الصُّور النُّطقية؛ وذلك من خلال قيامه بوظيفة علامات التَّرقيم في الكتابة، التي تُحدِّد المعنى الوظيفيَّ للجُملة؛ غير إنَّ التَّنغيم أكثرُ توضيحاً وبياناً لهذا المعنى من علامات التَّرقيم، وقد يعودُ ذلك إلى أنَّ ما يستعمله التَّنغيم من نَغَماتٍ صوتية أكثرُ ممَّا يستعمله التَّرقيم من علاماتٍ كتابية؛ ففي التَّرقيم تكون مُحدَّدة، وفي حالةٍ جامدةٍ ليس لها تأثيرُ التَّنغيم الذي يُثيرُ ويتطلَّب حالةً من الانتباه والمُتابعة لِمَا يجري؛ فهو يقوم بوظيفةٍ دلالية بما يُصاحبه من قرائن؛ كإشاحة الوجه وتجهُّمه، أو إقباله وآنفراج أساريره. أو قد تخلو الجُمل من أدواتٍ خاصَّة - كأدوات الاستفهام مثلاً - فيكون الاعتماد عندئذٍ على التَّنغيم في تعيين المُراد بمعونة المقام والسِّياق، ويكون التَّنغيم وحده الفيصلَ في الحكم على نوع الجُملة ودلالتها[51].

وقد تنبَّه كلٌّ من عُلماء اللُّغة والنَّحو والبلاغة النَّفسير والقراءات والتَّجويد إلى هذه الظاهرة الفذَّة منذ وقت مُبكِّر، وكانوا على وعيٍ تامٍّ بأهميتها وأثرها في تحديد معاني الكَلِم، وتوجيه دلالة الوحدات اللغوية في السِّياق بوصفه إشاراتٍ تخدم دلالة النَّصِّ اللغويّ في التَّفريق بين المعاني المُختلفة للجملة الواحدة، والانتقال الأُسلوبيّ بين الأبواب النَّحوية والبيانية.

وقد عُدَّت الدلالة الصَّوتية للألفاظ من التَّسميات الحديثة التي شغلتْ حيّزاً كبيراً في مجال الدِّراسات اللُّغوية لدى المُحدَثين، ولا سيَّما تلك الخاصَّةُ منها بالرَّبط بين الأصوات ودلالاتها.

المبحث الرابع

صور منتقاة لجانب الأداء الترتيلي في القرآن الكريم

سبق لنا بيانُ أنَّ التَّنغيم خاصٌّ باللغة المنطوقة التي تتعدَّد معانيها بتعدُّد نَغَماتها وطرق أدائها، وإذا كان ذلك كذلك؛ فإنَّ هناك العديدَ من الأمثلة المكتوبة التي يسمحُ رَسْمُها الكتابيُّ بأنْ تُقرأ بعدَّة نَغَماتٍ، وكلُّ نغمةٍ تقتضي معنىً مُغايراً للمعنى الذي تقتضيه نغمة أخرى. وهكذا يتوقَّف المعنى إلى حدٍّ بعيد على طريقة النُّطق، والتَّدرُّج في النَّغَم. خُذْ مثالاً على ذلك قوله على لسان نبيّه الكريم مُوسى عليه مُخاطباً فرعون: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء: 22] إذ يتوقَّف معنى الآية الكريمة وتأويلها النَّحويّ على طريقة نُطقها. فإذا كانت اللَّهجةُ الخطابيةُ مُرتفعةً؛ فهذا يعني أنَّ في الكلام حذفاً لهمزة الاستفهام، والكلامُ بذلك إنشائيٌّ بالاستفهام، والتَّقدير: «**أوتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ؟!**»، ((والحكم بأنها آستفهاميةٌ إنما يرجع في حقيقة الأمر إلى تنغيم النُّطق بصوتٍ يُوائمُ الأنماط التَّنغيمية للجمل الاستفهامية من

---

49 ينظر: الصَّوت والدلالة/ ص143، ودراسة الصَّوت اللغوي/ ص195، والمظاهر الصَّوتية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل/ ص3- 4.

50 ينظر: التنغيم ودلالته في العربية/ ص6، والصَّوت والدلالة/ ص143.

51 ينظر: اللغة العربية - معناها ومبناها/ ص226- 227، والدلالة اللغوية عند العرب/ ص178، وعلم اللغة العام (الأصوات)، ص212، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص27.

هذا النَّوع))[52]. وإذا كانت النَّغمةُ مُنخفضةً، هادئةً، لا آنفعال فيها؛ كانت الجملةُ خبريةً يُرادُ بها التَّهكُّم والسُّخرية؛ أي: «**إن كان ثمة نعمةٌ؛ فليستْ إلا أنك جعلتَ قومي عبيداً لك ولقومك!**»[53]!

ومثلُهُ قولُهُ {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي } [الأنعام: 76] إذ تحتملُ الآيةُ الكريمةُ الخبرَ؛ أي: هو كذلك عندكم، وعلى مذهبكم! كما يقول أحدُنا للمُشبِّه على وجه الإنكار عليه: «**هذا ربِّي جسمٌ يتحرَّك ويسكن**»! وتحتملُ التَّعجُّبَ والاستفهامَ كذلك، وأُسقِطَ حرفُ الاستفهام؛ للاستغناء عنه، والتَّقدير: «**أهذا ربِّي؟!**»، وهذا الحذف للهمزة يُوجِّه معنى الآية الكريمة، ويُؤوِّل مجيئها على وجه الإخبار لا الشَّكِّ؛ إذ سيقتْ على سبيل إنكار خليل الرَّحمن عليه على قومه، والتَّنبيه لهم على أنَّ ما يغيبُ وينتقلُ من حالٍ إلى حالٍ لا يصلُحُ ولا يجوز أن يكون إلهاً معبوداً؛ لثبوت دلالة الحدث فيه! ولكنَّه كان من المُوقنين، وكان قلبُهُ مُطمئناً بالإيمان، وكان مقصدُهُ من ذلك الفعل: ذِكْر الدَّليل لإبطال ديانتهم؛ لأنه لو صدع بالحقّ من أوَّل الأمر؛ لتمادوا في المُكابرة والعناد، وللجُّوا في العُتُوّ والطُّغيان. وممَّا لا مِرَاءَ فيه أنَّ التَّنغيم هنا هو المُرجِّح والقرينة الهادية لمقصد نبيِّ الله إبراهيم الخليل[54].

إنَّ نظرةً إلى كُتُب النُّحاة واللُّغويين وأئمة التَّفسير وعلماء التَّجويد لتُرينا عناية هؤلاء الأفذاذ بمثل هذه المباحث. فهذا أبو الفتح آبن جنّي رحمه الله (ت392هـ) يُشيرُ إشاراتٍ لطيفةً إلى النَّبر والتَّنغيم في لغة العرب وخطاباتهم؛ فمن ذلك: ((... أنك تكونُ في مدح إنسانٍ والثناء عليه؛ فتقولُ: كان - والله - رجلاً؛ فتزيد في قوَّة اللفظ «**والله**»، وتتمكَّن من تمطيط اللَّام وإطالة الصَّوت بها وعليها؛ أي: رجلاً فاضلاً، أو شجاعاً، أو كريماً، أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتُمكِّن الصَّوتَ بـ«**إنسان**»، وتُفخِّمه؛ فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً، أو جواداً، أو نحو ذلك. وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضِّيق؛ قلتَ: سألناه وكان إنساناً! وتُزري وجهك وتُقطِّبه؛ فيُغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً، أو إنساناً لَحِزاً - ضيِّق الخُلُق - أو نحو ذلك))[55].

فابنُ جنّي رحمه الله يُبيِّن لنا هنا ما للنَّغمة الصَّوتية والدلالة الحركية من أثرٍ في الإغناء عن بعض القول؛ بَيْدَ أنَّ هذا الأثر برُمَّته لا يتبيَّن إلا والكلامُ مُلقىً مُشافهةً؛ إذ الدليلُ يتمثَّل في نُطق ألفاظِهِ وأدائها ترتيلاً[56].

ويقتربُ آبنُ سينا رحمه الله (ت428هـ) إلى ما نحن فيه أكثر، إنه يقتربُ من مفهوم التَّنغيم، ويُعبِّر عن ذلك بـ«**نبرة الكلام**». يقول: ((ومن أحوال النَّغَم: النَّبراتُ؛ وهي هيئاتٌ في النَّغَم مِيِّزَة غيرُ حرفية، يُبتدأ بها تارةً، وتُخلَّل في الكلام تارةً، وتعقب النِّهاية تارةً، ورُبَّما تُكرَّر في الكلام، ورُبَّما تُقلَّل، ويكونُ فيها إشاراتٌ نحو الأغراض... ورُبَّما صارت المعاني مُختلفةً باختلافها، مثل أنَّ النَّبرة قد تجعلُ الخبرَ آستفهاماً، والاستفهامَ تعجُّباً، وغير ذلك))[57].

أما النَّبر والتَّنغيم لدى المُحدَثين؛ فقد لَقِيَ آهتماماً قلَّ نظيرُه، وشغل حيّزاً كبيراً في دراساتهم الصَّوتية، وآتفقتْ نظرتهم مع القدماء بأنَّ للتَّنغيم وظائفَ دلاليةً ونحويةً، فضلاً عن وظيفته الأساس - الصَّوتية - فهو لديهم وسيلةٌ للكشف عن المعاني المُختلفة، وطريقٌ للتَّوجيه الدَّلاليّ بحَسْب آختلاف النَّغَمات. فقولنا: «**حضر محمدٌ**» تصلُحُ لأنْ تُقال بنَغَماتٍ مُتعدِّدة، وَوَفْقاً لهذا التَّعدُّد يتغيَّر معناها؛ فتكون آستفهاماً إذا نُطِقَتْ بنغمةٍ صاعدة من أسفل إلى أعلى، وتكون خبريةً إذا نُطِقَتْ بنغمةٍ مُستويةٍ، في حين تكون توكيديةً إذا نُطِقَتْ بنغمةٍ صاعدةٍ هابطة. وترتيبُ الكلمات في الجُمل الثلاث واحدٌ، والفرقُ هو طريقة نُطق كلٍّ منها وكيفية أدائها التَّرتيلي.

---

52 علم اللغة العام (الأصوات)، ص198، وينظر: التوجيه الصَّوتي في دراسة النحو العربي/ ص26.

53 ينظر: اللغة العربية - معناها ومبناها/ ص226- 228، وأثر تعدُّد الآراء النحوية في تفسير الآيات القرآنية/ ص30- 31، وأسباب التَّعدُّد في التحليل النحوي/ ص37، ومواضع اللبس في العربية وأمن لبسها/ ص53- 54.

54 ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (247/7- 251)، والجامع لأحكام القرآن (28/7)، وروح المعاني (198/7).

55 الخصائص (371/2)، وينظر: التوجيه الصَّوتي في دراسة النحو العربي/ ص24، والتنغيم ودلالته في العربية/ ص6.

56 ينظر: البنى النحوية وأثرها في المعنى/ ص109- 110.

57 الشفاء/ ص198، وينظر: التوجيه الصَّوتي في دراسة النحو العربي/ ص24- 25.

وقد عُدَّتْ مباحثُهُم في هذا المجال أكثرَ إجادة وضبطاً؛ لاستخدامهم المُختبراتِ الصَّوتية الحديثة والمُتطوّرة في دقَّة التَّحليل الصَّوتيّ؛ الأمرُ الذي جعلهم يُخضِعُون التَّحليلَ التَّنغيميَّ لكلِّ نمطٍ لغويٍّ إلى مُستوياتٍ مُحدَّدة لقياس درجة التَّردُّد في التَّنغيم[58].

إنَّ المُتتبّعَ لكلام النَّاس يَلْحَظ التَّنغيمَ ظاهراً في كلامهم؛ فحديثُ التَّواصُل بينهم وخطابهم بعضهم بعضاً يكون التَّنغيمُ فيه بلا ريبٍ أوسَعَ وأشدَّ جلاءً وفسراً من الكلام المكتوب! ومن ذلك: قول عُمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: تُحبُّها؛ قلتُ بهراً عدد النجم والحصى والتراب[59]

إذ يتوقَّف معنى جُملة «**تُحبُّها**» على طبيعة الأداء؛ فقد يكونُ التَّدرُّجُ التَّنغيميُّ مُرتفعاً، ثمَّ يتراوحُ بين الارتفاع والانخفاض؛ فيفيدُ الاستفهامَ الذي يقتضي تقديرَ همزةٍ في بداية الجُملة. وقد يكون التَّدرُّج التَّنغيميُّ مُستوياً؛ فيفيدُ الإخبار[60].

ومن ذلك أيضاً: قولُهُ {قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ } [يوسف: 74، 75]فهذه الآيةُ الكريمةُ - وأمثالُها كثيرٌ - يكونُ التَّنغيمُ في جزئها الثاني محوراً رئيساً في تحديد الأبواب والتَّراكيب؛ إذ تُقرأُ فيه جُملة «**قالوا: جزاؤه؟؟**» بنغمة الاستفهام، وجُملة: «**من وُجد في رحله؛ فهو جزاؤه**» جُملةً واحدةً على التَّقرير. وتُقرأُ أيضاً على التَّعجُّب والاستهجان: «**قالوا: جزاؤه؟! من وُجد في رحله؛ فهو جزاؤه؟!**». ويُمكنُ أن تُقرأ على التَّبرُّم والانزعاج، ويظهرُ ذلك جلياً من خلال الحديث والكلام المنطوق بطريقة أدائه وإلقائه أكثرَ من ظهوره في الكلام المكتوب الذي يُحدِّد التَّنغيمُ فيه التَّرقيمَ[61].

ومنه أيضاً: ما جاء في قولِهِ {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس: 5 - 10]إذ إنَّ نبرة الصَّوت في (تصدى)، و(تلهى) تفيدُ الاستفهامَ الاستنكاريَّ، و((كأنَّ فيه اختصاصاً... ومعناه: إنكارُ التَّصدِّي والتَّلهِّي عليه؛ أي: مِثْلُك خُصُوصاً لا ينبغي له أن يتصدَّى للغنيِّ ويتلهَّى عن الفقير!))[62].

ومنه: ما جاء في قولِهِ في السورة ذاتها: { قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} [عبس: 17]فنبرة الصَّوت الأدائي تهدينا إلى مزيدٍ من التَّعجُّب من شأن هذا الإنسان الجاحد المُتغطرس! وقد تفيدُ الاستفهامَ؛ فيكون المعنى: أيُّ شيءٍ صرفه عن نداء ربه الحانِي وحَمَلَه على الكفر[63]؟!

ورُبَّما كان تعدُّد الأداء سبباً في أن يجعلَ الأسلوبَ يحتملُ الإخبارَ والدُّعاءَ. قال {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ} [المائدة: 23]، إذ تحتملُ جُملةُ (أنعم الله عليهما) الاعتراضَ بين القول ومقوله (ادخلوا)، والصِّفة لـ (رجلان)، والحالية من (رجلان)؛ لأنه وصفٌ؛ وذلك بتقدير «**قد**» في صدر الجُملة! وإذا كانتْ وصفيةً، أو حاليةً؛ فالأسلوبُ يبقى إخباراً. أما إذا كانتْ مُعترضةً؛ فالأسلوبُ يتحوَّل من الإخبار إلى الدُّعاء الذي تُفيدُه الجُملة المذكورة! ويبدو أنَّ الأداء الذي يقتضيه الوجهان الأوَّل والثاني يتجلَّيان بتدرُّجاتٍ تنغيمية مُستوية ومُتواصلة،

---

58 ينظر: مناهج البحث في اللغة/ ص198، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص63- 83، والتنغيم ودوره في التحليل اللغوي/ ص77، والتنغيم ودلالته في العربية/ ص1، ودراسة السمع والكلام/ ص258، والتشكيل الصَّوتي/ ص193.

59 ينظر: ديوانه/ ص423.

60 ينظر: أسباب التَّعدُّد في التحليل النحوي/ ص38، والصَّوت والدلالة/ ص143، ودروس في علم أصوات العربية/ ص188، والتنغيم ودلالته في العربية/ ص7.

61 ينظر: التنغيم ودلالته في العربية/ ص7.

62 الكشاف عن حقائق التنزيل (702/4)، ومفاتيح الغيب (53/31)، واللُّباب في علوم الكتاب (158/20).

63 ينظر: أيسر التفاسير (519/5).

بخلاف الوجه الثالث الذي يقتضي تدرُّجاً تنغيمياً مُستوياً حتى المقطع «**ـفون**» من (يخافون)، ثمَّ مُرتفعاً واقعاً على (أنعم) بعد فاصلةٍ تنغيميةٍ بسيطة[64]!

والتَّنغيمُ هو الذي يُبرزُ خصائصَ بعض الأساليب والتَّراكيب التي حُذِفَتْ بعضُ عناصرها. فبعضُ التَّراكيب مثلاً تحتوي على أدوات آستفهامٍ وهي ليست آستفهامية أساساً، في حين إنَّ بعضها الآخر لا تحتويها والسِّياقُ يُشيرُ إلى وُجُود الاستفهام فيها:

❖ **فمثال الأول**: قولُهُ {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان: 1]، فحرفُ الاستفهام «**هلْ**» لا يُشيرُ إلى الاستفهام؛ لأنَّ الدلالة عن طريق التَّنغيم تقتضي التَّقرير، ويكونُ الحرفُ «**هلْ**» بمعنى «**قد**».

❖ **ومثال الثاني:** قولُهُ {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ} [التحريم: 1]، ففي قولِهِ: (مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) يُلحَظُ التَّقرير؛ فأنت يا مُحمَّد تُحرِّم الحلالَ آبتغاء مرضاة أزواجك. بَيْدَ أنَّ دلالة التَّنغيم تُشيرُ إلى الاستفهام الإنكاري: (**أتبتغي مرضاة أزواجك؟!**)؛ أي: لا تُحرِّم الحلالَ آبتغاءَ لمرضاة أزواجك[65].

فللصَّوت وطريقة أدائه - إذاً - وظيفةٌ كبيرة في تحديد مسار النَّغَم في التَّركيب القرآنيّ نبرةً ومَخْرَجاً وصفةً؛ وذلك من خلال التَّلاؤم الحاصل بين الأصوات عن طريق التأثير والتأثُّر بها. وُصُولاً إلى إحداث جرسٍ تنغيميّ في دلالةٍ أُسلوبيةٍ لها أبلغُ الأثر في تحديد إعراب هذه المُفردة العربية أو ذاك المُصطلح القرآنيّ؛ وبالتالي الاهتداءُ إلى أرجاعها الدلالية ومَرْجعياتها المُعجمية، وإلى ما تُوحيه من معانٍ[66].

وإذا كانت الدَّلالاتُ في الكتابة تتحدَّد بعلامات التَّرقيم، وتتحدَّد في الكلام المنطوق عن طريق التَّنغيم؛ فإنَّ هناك من يرى أنها في القرآن الكريم لا تتحدَّد إلا بوساطة الأداء والتَّجويد؛ وهو العلم الذي نصونُ به اللِّسانَ عن الخطأ في لفظ القرآن المجيد.

وبذا آتضح لنا بما لا يقبل الشكَّ أو الجدل أنَّ القُرآن الكريم والعلوم عامَّة تستند إلى الجانب الترتيلي النطقي أكثر من آستنادها إلى الجانب الكتابي الإملائي؛ إذ يُؤخذ العلم الصحيح في غالبه من صدور العلماء أكثر منه تلقفه عن سطور الكتب! وهذا كلُّه يجرُّنا إلى الحكم بأنَّ ((طرق التِّلاوة للنَّصّ القرآنيّ تُعدُّ المثالَ الحيَّ الوحيدَ لطرق نُطق الفُصحى قديماً وحديثاً. وكثيراً ما يحتاجُ اللُّغويُّ عند وصف ظاهرةٍ صوتيةٍ مُعيَّنةٍ إلى الاستهداء بنُطق المُجيدين من قرَّاء القرآن. أما باقي المصادر اللغوية؛ فقد وردتْنا مكتوبةً لا منطوقةً، وكثيراً ما أوقعتْ طريقةُ الكتابة العربية في التَّصحيف والتَّحريف!))[67]، وفي هذا السِّياق الخطير يقول الباحث في أصول تفسير القرآن الكريم وقواعده خالد بن عبد الرحمن العكُّ: ((ومن المُتحقَّق أنَّ علم التِّلاوة في القرآن لا يُمكنُ إتقانُهُ إلا عن طريق التَّلقِّي المُباشر الذي يتحقَّقُ فيه آتصالُ السَّند مع تحقيق الإتقان في نُطق كلّ كلمةٍ، بلْ كلّ حرفٍ من حُرُوف القرآن الكريم!))[68].

ومن هنا وجب علينا حتماً - وعلى كلّ دارسٍ لطرق أداء النَّصّ؛ عربياً كان ذلك النَّصُّ أم قرآنياً - ((التأكيدُ على أنَّ الوحداتِ الكلاميةَ للُّغة الطبيعية ليستْ مُجرَّد سلسلةٍ، أو خيوطاً من صُنع الكلمات؛ فهناك مُكوّنٌ لاكلاميٌّ يُفرَضُ دائماً بالضرورة فوق المُكوّن الكلاميّ في كلّ وحدةٍ كلاميةٍ مَحْكيَّة. إنَّ هذه المُميّزاتِ غيرَ الكلامية للوحدة الكلامية جدُّ

---

64 ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل (654/1)، والبحر المحيط (470/3)، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب (562/1)، وأسباب التَّعدُّد في التحليل النحوي/ ص40.

65 ينظر: التنغيم ودلالته في العربية/ ص8.

66 ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص139.

67 المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته/ ص27.

68 أصول التفسير وقواعده/ ص453، وينظر: منهج الدرس الصوتي عند العرب/ ص8.

مهمة في تحديد معناها... إنَّ النَّاظر في اللُّغة على وجه التَّقعيد والوصف والتَّفسير ينتهي بالضَّرورة إلى آعتبار المُتغيّرات الخارجية التي تكتنفُ المادَّة اللغوية وآستعمالاتها))[69].

إذا ما عرفْنا ذلك كلَّه؛ فسنعرفُ حتماً بأنَّ الألفاظ - سواءٌ كانتْ من عُمُوم العربية المُبينة، أم من خُصُوص القرآن المُعجِز، أم ممَّا عداهما من سائر لُغاتِ أهلِ الأرض - ليستْ أصواتاً مَحْضةً؛ وإنما هي أصواتٌ دالَّة، وأنَّ جَرْسَ تلك الألفاظ كان له حسابُهُ في تحديد تلك الدلالة، وكان جزءاً في الاصطلاح الذي أنشأ المعنى اللغويَّ للَّفظة، وإنَّ هذه الدلالة تَرِدُ على الخيال كلَّما ذُكِرَ اللفظ ورنَّ جرسُهُ في السَّمع[70].

نخلُصُ ممَّا تقدَّم إلى أنَّ واحداً من الجوانب العامَّة التي تمتاز بها بياناتُ القرآن الكريم: ((الكمالُ في آختيار كلِّ لفظٍ؛ بحيثُ يُؤدِّي المعنى على أدقِّ وجهٍ وأوفاه بما لا يُؤدِّيه لفظٌ آخر. وكذا الاختيارُ الدَّقيق للألفاظ المُترادفة بحيثُ تُميّز بين أدقِّ الفُرُوق في المعنى، وبحيثُ إذا آستُبدِلَ اللفظ بمُرادِفِهِ؛ فَقَدَ النَّصُّ عُمقَ معناه، ودقَّة تصويره، وجمالَ جَرْسه))[71].

لقد تناول القرآنُ الكريمُ من الكلمات المُترادفة أدقَّها دلالة على المعنى، وأتمَّها تصويراً وتشخيصاً للصُّورة، وأجمَلَها وأحلاها إيقاعاً ووزناً بالنِّسبة إلى نظائرها، وجاء بأجزل الألفاظ وأعذبها، وأتى بأجلِّ المعاني، وأشمَلِها وأكرَمِها، وأشدِّها عُذُوبةً وجرساً في الأسماع، ووقعاً في العُقُول، وأثراً في النُّفُوس[72].

ومن هنا ((كان لظاهرة إيحاء الألفاظ بأكثر من دلالتها الظاهرة حُضُورٌ فاعلٌ في النَّصِّ القرآنيّ وفي القصَّة القرآنية، شكَّلتْ هذه الظاهرةُ قيمةً فنِّيَّة تُشرِكُ المُتلقِّي في تمثُّل الثراء المعنويّ للَّفظ))[73]؛ على أنَّ النُّقَّاد لا يبنون آنطباعَهم الجماليَّ على الصُّورة الصَّوتية للكلمة بمَعْزِلٍ عمَّا تُوحيه من دلالةٍ بديعة؛ بلْ ينظُرُون إلى آشتراك اللفظ والمعنى معاً في إحداث صُورةٍ دلالية[74].

كما إنَّ ((التَّبايُنَ بين بيان القرآن وسائر البيان لا يتمثَّلُ في بعض مُكوِّنات بنائه من ألفاظ الفُصحى والأساليب الإنشائية والصُّوَر البلاغية؛ فهذه وتلك نجدُ أمثالَها في القرآن الكريم، كما نجدُها في كلام العرب. كما لا يتمثَّل في بعض صفات الكلام - تأثيراً وتعبيراً وجمالاً - التي قد نلمسُها بدرجاتٍ مُتفاوتة في كلام البشر، وبأعلى درجةٍ في القرآن؛ بلْ هو في آجتماع صفات الكمال والجمال وبأقصى درجاتها في البيان القرآنيّ بأكمله دُون سِوَاه))[75].

وختاماً؛ فقد آتضح من خلال سَبْر النُّصُوص وتأمُّل السِّياقات التَّوظيفية لفنِّيَّات التلوين الصَّوتيّ في القرآن الكريم أنَّ هذه التلوينات تتعاضدُ معاً لتشكيل منظومةٍ جماليةٍ تشملُ في إطارها العامّ مُعطياتِ اللغة كلَّها: من أصواتٍ، وصَرْفٍ، ونحوٍ، ودلالة؛ أي إنها تبدأ من الوحدة الأولى للبناء التَّركيبيّ في الكلمة - وهو الصَّوتُ - لتَصِلَ إلى الوحدة الأعظم في البناء - وهي الدَّلالة - ثمَّ إنَّ هذه التلوينات لا تقفُ عند حُدُودٍ فاصلةٍ لمُستويات اللغة؛ بلْ إنها تتصرَّفُ في تفصيلات هذه المُستويات بكلّ حُرّيَّةٍ وطلاقةٍ وآنسيابيةٍ بالشَّكل الذي يمنحُ السِّياقَ الدلاليَّ في القرآن الكريم صفةَ الإعجاز في الأداء، والجمالية في الدلالة.

إنَّ كلَّ تلك الأشكال المُتعدِّدة من التلوينات الصَّوتية في سياق التَّراكيب العربية والقرآنية بظواهرها المُختلفة تتآزر معاً في بنَاها العامَّة لتُبرز جماليةَ الإطار الأدائيّ الذي يبدو عليه هذا النَّصُّ العربيُّ - شعراً كان أم نثراً - أو ما يبدو

---

69 علم اللغة، للسَّعْران/ ص263، وينظر: أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى/ ص1.

70 ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم/ ص115، وجرس الألفاظ/ ص28، و285، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص190، والمظاهر الصَّوتية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل/ ص1.

71 الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص408.

72 ينظر: البيان والتبيين (26/1)، والتطور الدلالي/ ص80- 82، ومدخل إلى القرآن الكريم/ ص115، وصفاء الكلمة/ ص61، ومباحث في إعجاز القرآن (النظم القرآني - جزالته وتناسقه)، ص137، والإعجاز البياني في القرآن الكريم/ ص2- 4، والمظاهر الصَّوتية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل/ ص1.

73 البنى والدلالات في لغة القصص القرآني/ ص279، وينظر: التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية/ ص135.

74 ينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص205.

75 الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص409.

عليه ذاك النَّصُّ القرآنيُّ وما يتميَّز به من بلاغاتٍ نصِّيَّةٍ ودلاليةٍ تصطبغُ في جوهرها بمُعطيات اللغة من دُون أن تخضع لمُقرَّراتها الجامدة؛ بلْ تتخطَّاها لتُؤدِّي ما يُناطُ بها من أغراضٍ ومقاصد[76].

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث في أهمِّ الجوانب والمظاهر الصَّوتية والتَّرتيلية الأدائية لطائفة من نُصُوص اللغة العربية والقرآن المجيد يطيبُ لي أن أُوجز ما بسطتُهُ في أثنائه؛ وذلك بإثبات طائفةٍ من الحقائق المُهِمَّة الواردة فيه، عَبْرَ خلاصةٍ دالَّةٍ على أهمِّ النتائج التي توصَّلتُ إليها فيه:

! اللغة الإنسانية عبارةٌ عن أصواتٍ يُعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم؛ بَيْدَ أنها ليستْ أصواتاً مُفردةً مُتناثرةً؛ بلْ هي أصواتٌ مُركَّبة دالَّة؛ ذلك أنَّ الصَّوتَ المُفردَ أداةٌ مُبهمةٌ لا تُؤدِّي وظيفةً إبلاغيةً إلا بائتلافها مع أصواتٍ أُخر، وتكوين مجموعاتٍ صوتيةٍ دالَّة؛ هي الكلماتُ التي ينشأ منها الكلام.

! اللغةُ ظاهرةٌ صوتيةٌ، الأصلُ فيها أنها نظامٌ من الرُّموز الصَّوتية المنطوقة، وهي أيضاً أصواتٌ في حُرُوفٍ، وحُرُوفٌ في كلماتٍ، وكلماتٌ في جُملٍ، وجُملٌ في نحوٍ، ونحوٌ في بيانٍ، والبيانُ وحدةٌ لا تتجزأ.

! لا تعدو اللغةُ - أيةُ لُغةٍ - كونها أصواتاً يتركَّبُ منها ما يُسمَّى بالكلمات، أو الألفاظ، ومن هذه الكلمات وتلك الألفاظ تُؤلَّف الجُملَ والعباراتِ، وليستْ هذه الأصواتُ الصَّادرةُ منا هدفاً لذاتها؛ وإنما هي وسيلةٌ نتَّخذها للتَّعبير عن الدَّلالات والخواطر التي تجولُ في أذهاننا.

! إنَّ قيمَ الصَّوت في الألفاظ هبةٌ ربَّانية في خَلْق الإنسان تتميَّز بتقطيع الحُرُوف وتركيبها؛ ليدلَّ بها على ما النَّفس من شُعُورٍ، أو انطباع، أو أثر.

! للرُّموز أهميةٌ بالغةٌ في حياة البشر، واللغةُ إحدى هذه الرُّموز؛ ذلك أنَّ وسائل الاستدلال في الوُجُود كثيرة؛ فقد تكونُ إشاراتٍ، أو علاماتٍ، أو رموزاً مخطوطة، أو صُوَراً مرسومة، وقد تكون تغيُّراتٍ تطرأ على شكل الإنسان ولونه ونبرة صوته ومُستوى تلك النَّبرة ارتفاعاً وانخفاضاً؛ فتدلُّ على حالته النَّفسية والانفعالية. واللغة أهمُّ هذه الدَّوالّ وأكثرُها إيحاءً.

! تُعدُّ العربيةُ من بين سائر اللُّغات الإنسانية لغةً كاملةً، مُحبَّبةً، عجيبةً، تكاد تُصوِّر ألفاظُها مشاهدَ الطبيعة، وتُمثِّل كلماتُها خطراتِ النُّفوس، وتكاد تتجلَّى معانيها في أجراس الألفاظ؛ كأنما كلماتِها خطواتُ الضَّمير ونبضاتُ القلوب ونبراتُ الحياة! وللأصوات في اللغة العربية وظائفُ بيانيةٌ وقيمٌ تعبيرية.

! مُعظم لغات العالم مُفتقرةٌ إلى الاستعانة بإشاراتٍ وحركاتٍ وعناصرَ غيرِ لغويةٍ في سعيٍ منها لإيصال المعنى المُراد من اللفظة أو العبارة إلى ذهن المُتلقِّي أو السَّامع على نحوٍ وافٍ. أما اللغة العربية؛ فدلالتُها على ذلك كلِّه ذاتيةٌ؛ إذ إنَّ كلَّ كلمةٍ فيها مُتخصِّصة بدَّقة برسم جزءٍ مُحدَّد من الصُّورة، وبيان جانب مُعيَّن من المعنى؛ فتمنحنا بذلك الحدَّ الجامع المانع لكلِّ لفظةٍ مع مدلولها. وما الإشاراتُ والحركاتُ والنَّبرات إلا مُتمِّماتٌ داخلةٌ في باب النَّافلة، وما هي بالفرض المضروب عليها كذلك المضروب على أخدانٍ لها من لُغاتٍ أخرى عديدة.

! ليست الألفاظُ - سواءٌ كانتْ من عُمُوم العربية المُبينة، أم من خُصُوص القرآن المُعجز، أم ممَّا عداهما من سائر لُغاتِ أهلِ الأرض - ليستْ أصواتاً مَحْضةً؛ وإنما هي أصواتٌ دالَّة، وإنَّ جَرْسَ تلك الألفاظ له حسابُهُ في تحديد تلك الدَّلالة، وهو جزءٌ في الاصطلاح الذي أنشأ المعنى اللغويَّ للَّفظة، وإنَّ هذه الدَّلالة تَرِدُ على الخيال كلَّما ذُكِرَ اللفظ ورنَّ جرسُهُ في السَّمع.

! ليست الأصواتُ اللغويةُ عناصرَ مُتناثرةً؛ وإنما هي نظامٌ مُنسَّق تحكُمُهُ علاقاتٌ خاصَّة في هذه اللغة أو تلك، فهناك قواعد تتجاوز النَّسيجَ المقطعيَّ القائمَ على توالي الصَّوامت والصَّوائت، هي التي تُحدِّد ذلك الانسجام.

---

[76] ينظر: أثر التلوينات الصَّوتية في الدلالة القرآنية/ ص379- 388.

! تُعدُّ دراسةُ الأصوات أوَّل ما ينبغي أن يُعنى به دارسُ اللغة إذا ما أراد أن يدرس لغةً ما دراسةً علميةً صحيحة. ودراسةُ الأصوات تُتيحُ للدارس أن يقفَ على طبائع هذه الأصوات وخصائصها حين تتمازجُ في صور كلماتٍ، ولنْ يُستغنى عنها؛ لأنها تُفسِّر كثيراً من الظواهر اللغوية.

! بالدِّراسة المُعمَّقة والتَّمحيص المُتَّئد للخصائص الصَّوتية لحُرُوف العربية، وٱستعراض معانيها وٱستيحاء دلالاتها يُمكنُنا إعادةُ ترسيم الحُدُود، وحصر المُفارقات الدَّلالية القائمة على أساس سَبْرٍ عميق لأبنية الألفاظ المُختلفة المُؤلَّفة من مجموع أصوات تلك اللغة وٱئتلافها؛ لاستكناه حقائق أبعادها الدلالية؛ إذ إنَّ الوُصُول إلى حصر سماتٍ تمييزية مُحدَّدة بين حرفٍ وآخر من حُرُوف اللغة يشي بوُجُود ثمَّة إمكانيةٍ منهجية لإرساء قواعد علمية تغدو مقاييس ثابتة ومعايير مُطَّردة لضبط آليات الأحداث الكلامية؛ من خلال الوُقُوف على ما يُشكِّل أنساقها الصَّوتية العامَّة التي في وُسْعها أن تنتظمَ العناصرَ الأخرى في الخطاب الإبلاغيِّ العام.

! إنَّ للدَّلالات الصَّوتية للحُرُوف فاعليةً عاليةً؛ إذ تخضعُ في مُعظم الأحيان لانطباعاتٍ مبعثُها إحياءُ الأصوات، ويُشكِّلُ الصَّوتُ في النَّسق اللُّغويِّ مُنطلقاً للوعي والتأثير؛ إذ قد يكونُ هنالك صوتٌ بعينه أو مجموعةٌ من الأصوات يكونُ لها في النَّفس مغزىً، أو تبعثُ فيها شُعُوراً مُعبِّراً؛ وعندها تتفوَّقُ دلالةُ جَرْس الصَّوت وإيقاعه على منطق اللغة؛ فيخرج آنئذٍ عن كونه صوتاً مَحْضاً إلى دلالةٍ تُعزِّز المعنى وتُؤكِّده، وتبعثُ فيه الحركةَ والحياة.

! تلعبُ الدلالة الصَّوتية دوراً مهماً في توجيه معنى الكلمة والعبارة والنَّصّ، وتحديد مداليلها جميعاً. بَيْدَ أنَّ هنالك تفاوتاً بيِّناً وفروقاً ملموسةً في القدرة التَّعبيرية بين الأصوات المُختلفة في اللغة، وهذا هو السِّرُّ الكامن في التَّفاوُت وٱختلاف نِسَبِ التأثير في الكلمات المُعبِّرة بأصواتها عن معانيها ومدلولاتها.

! إنَّ الحرفَ بدلالته الصَّوتية يُشيرُ إلى المعنى أو يُحاولُ الإيحاءَ به؛ بحيثُ يُمكنُنا القولُ بأنَّ أصوات اللغة العربية تدلُّ دلالةً قويةً وأكيدةً على المعاني.

! إنَّ لأصوات الكلمات قوَّةً خارقةً في التَّعبير عن مدلولاتها، وإنَّ الجَرْس المُوسيقيَّ لأية لفظةٍ يُحدِثُ أثراً بالغاً ويلعب دوراً خاصَّاً يُثيرُ ٱنتباه المشاعر الدَّاخلية للمُتلقِّي، والنَّغَمُ من أخصِّ خصائص اللفظة بوصفها صوتاً يرمز إلى المعنى.

! تعملُ إيحاءاتُ الحُرُوف وخصائصُها ومعانيها دائبةً على ربط البنية الصَّوتية واللِّسانية برباطٍ مُحكم، وبيان علاقتها بالبنية المعنوية والدلالية؛ فإنَّ طبيعة الدلالة وهيئتها وماهيَّتها تعتمد إلى حدٍّ بعيد على التَّحليل الصَّوتيِّ اللِّسانيِّ لبنية الكلمة، أو الجُملة، أو النَّصّ؛ لأنَّ تلك الأشياء تُمثِّل مدارَ الأمر كلِّه ومناطه في منظومة الاتِّصال والتَّفاهم وعملية الإبلاغ.

! أشار الاستقراءُ الصَّوتيُّ والتَّحليلُ الصَّرفيُّ لألفاظه المُباركة إلى أنَّ بالإمكان إيجادَ منهجٍ تفسيريٍّ شامل للقرآن الكريم يقومُ على تعيين وظائف الأصوات، وتحديد دلالة البناء العام للنَّصّ القرآنيّ في ضوء التَّحليل النَّغَمي. وذلك كلُّه ٱنطلاقاً ممَّا للأصوات اللغوية من أثرٍ لا يتوارى في فهم دلالات الألفاظ اللغوية التي تُفضي بالنَّتيجة إلى فهم التَّراكيب والبنى النَّصِّيَّة برُمَّتها؛ فمن خلال تلك الأصوات تجري تلك الألفاظُ اللغوية من السَّمع مجرى الصُّور من البصر.

! النَّاظرُ في ألفاظ اللغة والقرآن عن كثبٍ يجدُ مُناسبةً طبيعيةً وثيقةً بين اللفظ ومدلوله؛ فالألفاظ لدى دارسيها لم تنفَصِلْ عن دلالاتها الصَّوتية في كثيرٍ من الأحيان، كما لم تتخلَّ عن المعاني الدَّالَّة عليها في شتَّى الوُجُوه المُرتبطة بها عند الإطلاق، وهذا يعني أنَّ الألفاظ تكتسبُ دلالتها من جَرْس أصواتها، كما يعني أنَّ معنى الحرف العربيِّ هو صدى صوتِهِ في النفس أو في الوِجْدان.

! إنَّ للجَرْس والجوانب الأدائية الصَّوتية في آي الذِّكر الحكيم دلالاتٍ خاصَّةً أضفتْ على معاني الألفاظ وأصواتها معاني وأبعاداً مفهومية جديدة؛ وبهذا وغيره من الجوانب الفكرية والبيانية والإعجازية بلغ القرآنُ الكريمُ الذِّرْوة في التأثير في سمع العربيّ ووجْدانه؛ وذلك بعُذُوبة جَرْسه، وجمال إيقاعه ونَغَمِهِ، وما لذلك من صلةٍ بالدلالة.

! يُعدُّ الصَّوت اللغويُّ والكلمةُ وحْدتينِ أساسيتين مُتآزرتين في تكوين الكلام؛ إذ تتكوَّن اللغة - أيةُ لغةٍ - من وِحْداتٍ أساسية؛ هي الكلمات، وهذه الأخيرة تُؤلِّفها عناصرُ أصغرُ منها، تُسمَّى: الأصواتُ، التي يأتلفُ بعضُها ببعض ويتواشجُ في نسيجٍ كلاميّ مُعبّرٍ عمَّا يدور في خَلَد المُتكلِّم من أفكارٍ ومعانٍ.

! ثمة علاقةٌ وثيقةٌ بين اللفظ والمعنى؛ فما يخرُجُ بالصَّوت يدلُّ على ما في النَّفس؛ وهي التي تُسمَّى: الآثار، والتي في النَّفس تدلُّ على الأمور؛ وهي التي تُسمَّى: المعاني. فمعنى دلالة اللفظ: أن يكون إذا ٱرتسمَ في الخيال مسموعُ ٱسمٍ؛ ٱرتسم في النَّفس معنىً؛ فتعرف النَّفسُ أنَّ هذا المسموعَ لهذا المفهوم، فكلَّما أورده الحِسُّ على النَّفس؛ ٱلتفتتْ إلى معناه. وبتعبيرٍ آخر؛ فإنَّ التأليف الصُّوريَّ للَّفظ يرسُمُ القيمة الدلالية للمعنى الذي يُقابله.

! تمتاز بياناتُ القرآن الكريم بالاتِّساق اللَّفظيّ الصَّوتيّ الذي تُدركه الأذن؛ وإنْ لمْ تفهم المعنى أو تعرف العربية. وترتَّب على ذلك سُهُولة نُطقه باللِّسان، وتيسير حفظه عن ظهر قلب. وليس ثمَّةَ نصٌّ بهذا الطُّول وهذا التَّنوُّع يسَّره الله Y للحفظ ككتابه العزيز.

! لقد منحُ الصَّوتُ اللفظةَ في العربية والقرآن دفقاً دلالياً مُضافاً إلى دلالتها المُعجمية الأصل، يُحَسُّ في عناصر تشكيلها وبنائها. ولمَّا كان ذلك الدَّفقُ مُنبعثاً من جميع عناصر تلك اللغة وكتابها الأكبر؛ فليس إحساسُهُ مقصوراً على شخص مُعيَّن دون آخر؛ وإنما هو مادَّةٌ دلاليةٌ ثرَّةٌ، ذاتُ عطاءٍ جزيل، يُحِسُّه الجميعُ. على أن لا يجُرَّنا ذلك إلى القول باستقلال وحْدة الدلالة الصَّوتية بأداء معنى اللفظة فيهما؛ فهي ليستْ دلالةً مُؤسِّسةً للمعنى بقدر ما هي مُؤكِّدةٌ له ضمن عناصر السِّياق.

! الكلمةُ أو اللفظةُ عبارةٌ عن صوتٍ مُنَّسقٍ ومُتناسقٍ يَنطِقُ به الإنسانُ ليُعبّر من خلاله عن أغراضه البيانية الجائلة في صدره، والجَرْسُ الذي تشعُّ به هذه اللفظة أو تلك يقذف في نفس المُتلقّي صورةً ذهنيةً تُناسبُ إيقاعه، وتُشيعُ جوَّاً نفسياً مُعيَّناً، له القابليةُ الفائقةُ والقدرةُ الخلّاقةُ - بما تُوحيه عليه وتُضفيه من شُخُوصٍ حيَّةٍ غاديةٍ ورائحةٍ - على تجسيد صُوَرٍ تتناسبُ والجوَّ المُوسيقيَّ النَّفسيَّ الذي يُحدِثُهُ إيقاعُ ذلك الجَرْس ومُوسيقاه.

! اللَّفظُ في فنّ الأدب لا يُقصَدُ منه إلى مُجرَّد التَّقرير ونقل المعاني؛ بلْ إلى التَّصوير البيانيّ والجماليّ الذي يُضفي على المعنى جدَّته؛ حتى لكأنه هو المعنى نفسُهُ؛ ذلك أنه الأداةُ المُفضَّلةُ في أُسلُوب القرآن.

! تُعدُّ قوالبُ الألفاظ وصيغُ الكلمات في العربية أوزاناً مُوسيقيةً؛ بمعنى أنَّ كلَّ قالبٍ من تيك القوالب المُتعدِّدة، وكلَّ بناءٍ من تلكم الأبنية المُختلفة ذو إيقاعٍ مُحدَّدٍ، ونغمةٍ مُوسيقيةٍ ثابتةٍ، وللدلالة الصَّوتية أثرُها الفاعلَ في ٱستدعاءِ المعنى والإيحاءِ به.

! حين نقرأ قطعةً من القرآن؛ نجدُ في ألفاظها من الشُّفُوف والمَلاسة والإحكام والخُلُوّ من كلّ غريبٍ عن الغرض ما يتسابقُ به مغزاها إلى نفسها دون كدٍّ خاطرٍ ولا ٱستعادة حديث؛ وكأننا لا نسمعُ كلاماً ولُغاتٍ؛ بلْ نرى صُوَراً وحقائق ماثلة.

! جاءتْ ألفاظُ القرآن الكريم طبقاً لمعانيه؛ إذ أشاع في الاستعمال أصفى ألفاظ اللغة جَرْساً، وأرهفها في السَّمع حِسَّاً، وأدقَّها تعبيراً، وأحلاها نَغَماً، وأنداها لفظاً، وأشدَّها في الضَّمير وقعاً، وأبلغها في النَّفس أثراً. وأورد كلَّ لفظة في مكانها المُناسب ببراعةٍ فائقةٍ، وٱلتزم الدِّقَّة في مُراعاة دلالة الألفاظ، وإيرادها مواردها بطريقةٍ تَعْجَزُ عنها الخلائقُ ولو كان بعضُهُم لبعض ظهيراً.

! تمتاز بياناتُ القرآن الكريم بالكمالِ في آختيار كلِّ لفظٍ؛ بحيثُ يُؤدّي المعنى على أدقِّ وجهٍ وأوفاه بما لا يُؤدّيه لفظٌ آخر. وكذا الاختيارُ الدَّقيق للألفاظ المُترادفة بحيثُ تُميّز بين أدقِّ الفُرُوق في المعنى، وبحيثُ إذا آستُبدِلَ اللفظ بمُرادِفِهِ؛ فَقَدَ النَّصُّ عُمقَ معناه، ودقَّة تصويره، وجمالَ جَرْسه.

! يُعدُّ المُستوى اللُّغويُّ قاصراً عن الوفاء بالكشف سوى عن المعنى المقاليّ أو الحرفيّ للنَّصّ، بمعزلٍ عن المُحتوى الاجتماعيّ والثقافيّ له بحَسْب ما تُؤدّيه القرائنُ المُتنوّعة؛ فالمقالُ لا يُحدّد الدّلالة المقصودة للّفظة إلا باقترانه بالمقام، أو سياق الحال المُصاحِبِ له؛ إذ يشتملُ الأخيرُ على عناصر كثيرةٍ مُتكاملةٍ تتَّصل بالمُتكلِّم، والمُخاطب، والظروف المُلابسة، والبيئة، يفتقر إليها الأوَّلُ؛ وذلك هو المعنى المقاليُّ المُشتملُ على القرائن المقالية فحَسْبُ! وهناك المعنى المقاميُّ الحاملُ لظروف أداء المقال، أو قرائن الحال التي يتمُّ من خلالها الفهمُ التّامُّ للنَّصّ، والوفاءُ بأغراضه، والإحاطةُ به من جميع جوانبه.

! تُستَمَدُّ الدّلالةُ المعنويةُ بشكلٍ عامّ من إقامة علاقات وعقد صِلَاتٍ تكامليةٍ بين الأصوات في اللفظ الواحد، والألفاظ في الجُمل، والجُمل في التَّراكيب والسّياقات العامَّة، على وَفْق ما تُمليه قوانينُ اللغة وضوابطُها وحُدُودُها؛ إذ ليست اللغة سوى مجموعةٍ من القوانين الوضعية؛ سواءٌ كانتْ على مُستوى المُفردات، أم على مُستوى التَّراكيب، ولكلٍّ من هذه المفردات وظيفةٌ خاصَّةٌ تتحدَّد بانضمامها إلى غيرها من الألفاظ وتكامُلها معها في نظامٍ تركيبيٍّ مُعيَّن مُؤلِّفةً الجُمَلَ المُفيدة الدَّالَّة.

! تكتسبُ الكلماتِ في التَّركيب قيمتَها من مُقابلتها لِمَا يسبِقُها أو يَلْحَقُها من كلماتٍ؛ إذ لا تتَّضح القيمةُ التَّعبيريةُ للّفظ أو التَّركيب اللُّغويّ بشكلٍ نهائيّ إلا بتحديد علاقتها بمُجاورتها لِمَا يسبقها أو يلحقها من ألفاظٍ في العبارة أو في النَّصّ أو في الكتاب كلِّه؛ وذلك لأنَّ الحكم على دلالة اللفظ في نصٍّ ما أدقُّ وأوثقُ مما لو آستقيناه من المعاجم وحدها؛ ولأنَّ معنى الكلمة هو مجموعُ السّياقات التي تُشكِّل هذه الكلمةُ أو تلك جزءاً منها.

! يَزْخَرُ القرآنُ الكريمُ بالكثير من المظاهر الصَّوتية التي لها دلالتُها المُتميّزة في أدائه؛ ممَّا يُعينُ على فهم المُراد منه بأيسر طريقٍ وأوضحه. ومن بين أهمِّ تلكم المظاهر: أن يُعربَ القارئ عن المعنى بطريقة نُطقه؛ فيتلقَّفه السَّامع مُباشرةً، من غير عناءٍ، أو مشقَّةٍ، أو عُسرٍ. ولعلَّ هذا الأداءَ العلميَّ الدَّقيق واحدٌ من أهمِّ ميزات أن يُؤخَذَ القرآنُ الكريم مُشافهةً، لا قراءة من المصاحف المكتوبة؛ إذ لا يُمكنُنا في كثيرٍ من الأحيان أن نجد في المصاحف المُعتَمَدة علاماتِ ترقيمٍ تهدينا إلى معاني الأساليب المُختلفةِ المقاماتِ في القرآن، أو ترابطِ الكلماتِ والجُملِ وعلاقاتِ بعضها ببعض؛ فتكونُ طريقةُ نُطق الآيات وكيفية أدائها على وجهها الصَّوتيّ والنَّغَميّ الصَّحيح خيرَ هادٍ إلى تلك المعاني النَّاطقات، والوُقُوف على تلك المرامي والعلاقات.

! إنَّ لطبيعة أداء العبارة، وطريقة النُّطق بها في اللغة أثراً واضحاً ومُهمَّاً في صياغة المعنى، وتوجيه الدلالة؛ ذلك أنَّ اللغة المنطوقة هي اللغة المُثلى للمُحاكاة؛ لأنها الوحيدةُ القادرةُ على حَمْل التَّعابير التي يُريدُ المُتكلِّم الإفصاحَ عنها؛ فبتلوُّن الإيقاع، وتعدُّد الأنغام، وآرتفاع النَّبرات وآنخفاضها. تتلوَّن المعاني، وتتشعَّب الدَّلالاتُ، وتتعدَّد الأغراضُ. ومن هنا كان للأصوات قيمتُها المعنوية التي تلعبُ دوراً فعَّالاً وتُحدِثُ أثراً ملموساً في تحديد أبعاد الكلمات والجُمل.

! تجري في الكلام المنطوق قرائنُ عديدةٌ يُتوصَّل من خلالها إلى وُضُوح الغرض المنشود الذي سيق الكلامُ قصد بُلُوغه. فاختيارُ الألفاظ المُناسبة للنُّطق قرينةٌ، ونوعُ الصَّوت الذي يُنطقُ به قرينةٌ، ودرجتُهُ في الارتفاع والانخفاض قرينةٌ، وملامحُ الوجه أثناء النُّطق قرينةٌ... وغيرُها من القرائن العديدة الأخرى ممَّا من شأنه أن يُسهِمَ في بُلُوغ المعنى المُراد.

! إنَّ الظواهر الصَّوتيةَ خاصَّةٌ باللغة المنطوقة؛ إذ يفهمُ السَّامعُ في طريقة نُطق المُتكلِّم وأدائِهِ الصَّوتيّ للعبارة المعنى المُرادَ. وهذا ما نجدُهُ ملموساً في بعض آي الذِّكْر الحكيم الذي يُعتَمَدُ فيه على المُشافهة، فلو نظرْنا إليه بوصفه نصَّاً مكتوباً؛ فإننا لا نجدُ فيه علاماتِ ترقيمٍ تدلُّ على معاني الاستفهام، والتَّعجُّب، والإنكار. وغير ذلك من الأساليب التي قد لا تظهر إلا بطريقة الأداء وغيرها؛ لذا كان لزاماً على المُقرئ المُدقِّق، أو القارئ المُحقِّق أن يُؤدِّيَها بطريقةٍ تُوحي بالمعنى المطلوب. وهذا الأمرُ ليس مقصوراً على القرآن الكريم؛ وإنما هو في كلام العرب شعراً ونثراً؛ فتكونُ طريقةُ الأداء بذلك جزءاً من النِّظام النَّحويّ الذي تقوم عليه معاني كلمات اللغة ودلالاتها المُتنوّعة.

! إذا كان السِّيَاقُ بأنواعه قرينةً دالَّةً على فهم النُّصُوص المكتوبة؛ فإنَّ واحداً من العوامل المُهمَّة والظواهر البارزة في فهم مدلولات النُّصُوص المنطوقة هو طريقةُ الأداء اللُّغويّ المُصاحبة للجُمل، أو ما يُطلقُ عليه آسم: «**النَّطريز الصَّوتي**».

! التَّنغيم خاصٌّ باللغة المنطوقة التي تتعدَّدُ معانيها بتعدُّد نَغَماتها وطرق أدائها، وإذا كان ذلك كذلك؛ فإنَّ هناك العديدَ من الأمثلة المكتوبة التي يسمحُ رَسْمُها الكتابيُّ بأنْ تُقرأ بعدَّة نَغَماتٍ، وكلُّ نغمةٍ تقتضي معنىً مُغايراً للمعنى الذي تقتضيه نغمةٌ أخرى. وهكذا يتوقَّفُ المعنى على طريقة النُّطق، والتَّدرُّج في النَّغَم.

! تُعدُّ الصِّيغةُ التَّنغيميةُ منحىً نغمياً خاصَّاً بالجُملة، يُعينُ على الكشف عن معناها النَّحويّ؛ ولكنَّه لا يمنحُنا تفسيراً للمضمون المعرفيّ لها، وإنما يُشيرُ إشارةً فقط إلى وظيفتها الانفعالية أو العاطفية، ويبقى مُلازماً لها؛ وإنْ كانتْ كلماتُ الجُملة مُبهمةً لا يُمكنُ فهمها إلا بتضافر قرائن أخرى.

! بالتَّنغيم تُحَلُّ الكثيرُ من مُشكلات الدلالة اللغوية المُتعلِّقة بالأصوات والسِّياقات التَّركيبية، وبه أيضاً يتمُّ تعيينُ الصُّوَر النُّطقية؛ وذلك من خلال قيامِهِ بوظيفة علامات التَّرقيم في الكتابة، التي تُحدِّد المعنى الوظيفيَّ للجُملة؛ غير إنَّ التَّنغيم أكثرُ توضيحاً وبياناً لهذا المعنى من علامات التَّرقيم، وقد يعودُ ذلك إلى أنَّ ما يستعملُهُ التَّنغيمُ من نَغَماتٍ صوتية أكثرُ ممَّا يستعمله التَّرقيمُ من علاماتٍ كتابية؛ ففي التَّرقيم تكون مُحدَّدة، وفي حالةٍ جامدةٍ ليس لها تأثيرُ التَّنغيم الذي يُثيرُ ويتطلَّب حالةً من الانتباه والمُتابعة لِمَا يجري؛ فهو يقومُ بوظيفةٍ دلاليةٍ بما يُصاحبُهُ من قرائن؛ كإشاحة الوجه وتجهُّمِهِ، أو إقبالِهِ وآنفراج أساريره. أو قد تخلو الجُملُ من أدواتٍ خاصَّة - كأدوات الاستفهام مثلاً - فيكونُ الاعتمادُ عندئذٍ على التَّنغيم في تعيين المُراد بمعونة المقام والسِّياق، ويكون التَّنغيمُ وحده الفيصلَ في الحكم على نوع الجُملة ودلالتها.

! تُعدُّ طرقُ تلاوة النَّصِّ القرآنيّ المثالَ الحيَّ الوحيدَ لطرق نُطق الفُصحى قديماً وحديثاً. وكثيراً ما يحتاجُ اللُّغويُّ عند وصف صوتٍ من الأصوات، أو ظاهرةٍ صوتيةٍ مُعيَّنةٍ إلى الاستهداء بنُطق المُجيدين من قرَّاء القرآن. أما باقي المصادر اللغوية؛ فقد وردتْنا مكتوبةً لا منطوقةً، وكثيراً ما أوقعتْ طريقةُ الكتابة العربية في التَّصحيف والتَّحريف.

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**.

❖ **أبحاث في أصوات العربية**: أ. د. حسام سعيد النعيمي/ دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد)، ط1، 1408هـ/ 1988م.

❖ **أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية**: أ. د. رشيد عبد الرحمن العبيدي (ت1428هـ)، مطابع التعليم العالي (بغداد)، 1408هـ/ 1988م.

❖ **أثر تعدُّد الآراء النحوية في تفسير الآيات القرآنية**: د. سامي عوض، وياسر محمد مطره چي/ مجلة جامعة تشرين/ المجلَّد (29)، العدد (1) لسنة 2007م.

❖ **أثر التلوينات الصَّوتية في الدلالة القرآنية - دراسة تحليلية أسلوبية «أطروحة دكتوراه»**: أسامة عبد العزيز جاب الله، إشراف: أ. د. محمد أحمد العمروسي/ جامعة طنطا- كلية الآداب، 1425هـ/ نيسان 2004م.

❖ **أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى**: د. رشيد بلحبيب/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الأول (المغرب)، موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **أثر الوقف على الدلالة التركيبية**: د. محمد حبلص/ دار الثقافة العربية (دمشق)، ط1، 1414هـ/ 1993م.

❖ **أسباب التعدُّد في التحليل النحوي**: د. محمود حسن الجاسم (جامعة حلب/ كلية الآداب - قسم اللغة العربية)، موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **الأصوات اللغوية**: أ. د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الإنجلو مصرية (القاهرة)، ط5، 1399هـ/ 1979م.

❖ **أصول التفسير وقواعده**: خالد بن عبد الرحمن العكّ/ دار النفائس (بيروت)، ط3، 1409هـ/ 1988م.

❖ **أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى**: د. محمد سالم صالح/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **الإعجاز البياني في القرآن الكريم**: أ. د. حكمت الحريري/ بحث منشور في مجلة السنة/ الركن الشرعي - العدد (133)، محرم 1425هـ/ آذار 2004م، عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **الإعجاز الصَّوتي في القرآن الكريم**: أ. د. محمد محمد داود/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت1356هـ/ 1937م)، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط8، 1425هـ/ 2005م.

❖ **الأوجه الإعرابية في قراءات أهل البصرة وأثرها في دلالة النصّ القرآني «رسالة ماجستير»**: أسامة صباح عبد الله الرفاعي، إشراف: أ. م. د. عدنان عبد الكريم جمعة/ جامعة البصرة - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 1425هـ/ 2004م.

❖ **الإيحاء الصَّوتي في تعبير القرآن**: أ. د. قاصد ياسر حسين الزيدي (ت1429هـ/ 2008م)، بحث منشور في مجلة العرب (الرياض)، العدد (65)، 1425هـ/ 2005م.

❖ **البحث البلاغي عند الأصوليين «أطروحة دكتوراه»**: حسن هادي محمد/ الجامعة المستنصرية - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 1425هـ/ 2004م.

❖ **البحر المحيط**: أبو حيان الأندلسي (ت745هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل/ دار الفكر (بيروت)، 1412هـ/ 1992م.

❖ **البنى النحوية وأثرها في المعنى «أطروحة دكتوراه»**: أحمد عبد الله حمُّود العاني، إشراف: د. هدى محمد صالح الحديثي/ جامعة بغداد - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 1423هـ/ 2003م.

❖ **البناء الصَّوتي في البيان القراني**: د. محمد حسن شرشر/ دار الطباعة المحمدية (القاهرة)، ط1، 1408هـ/ 1988م.

❖ **بنية اللغة الشعرية**: جان كوهن، ترجمة: محمد عبد الولي، ومحمد العمري/ دار توبقال (الدار البيضاء - المغرب)، ط1/ 1986م.

❖ **التحرير والتنوير، الموسوم بـ«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد»**: محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ/ 1973م)، الدار التونسية للنشر (تونس)، ط31، 1403هـ/ 1984م.

❖ **التشكيل الصَّوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية)**: د. سلمان حسن العاني، ترجمة: د. ياسر الملاح، مراجعة: د. محمد محمود غالي/ دار البلاد (جدة)، ط1، 1403هـ/ 1983م.

❖ **التصوير الفني في القرآن**: الإمام الشهيد سيّد قطب بن إبراهيم حسين بن شاذلي (ت1385هـ/ 1966م)، دار المعارف (القاهرة)، (ب. ت).

❖ **التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم - دراسة دلالية مقارنة**: عودة خليل أبو عودة/ مكتبة المنار (الزرقاء)، ط1، 1405هـ/ 1985م.

❖ **التعبير البياني**: د. شفيع السَّيّد/ مطبعة الاستقلال الكبرى (القاهرة)، ط1/ 1977م.

❖ **التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية «أطروحة دكتوراه»**: نوَّار محمد إسماعيل الحيالي، إشراف: أ. م. د. عماد عبد يحيى الحيالي/ جامعة الموصل - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 1425هـ/ 2004م.

❖ **التنغيم اللغوي في القرآن الكريم**: د. سمير إبراهيم وحيد العزاوي/ دار الضياء (عمَّان)، ط1، 1421هـ/ 2000م.

❖ **التنغيم ودلالته في العربية**: يوسف عبد الله الجوارنة/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **التنغيم ودوره في التحليل اللغوي**: د. عبد الحميد السَّيّد طلب/ مجلة دراسات الأردنية (عمَّان)، المجلد (19)، العدد الثاني، 1413هـ/ 1992م.

❖ **تهذيب اللغة**: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، الهروي (ت370هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد عبد المُنعم خفاجي، والأستاذ محمد فرح العُقْدة/ مراجعة: الأستاذ محمد علي البيجاوي، (بلا معلومات نشر).

❖ **التوجيه الصَّوتي في دراسة النحو العربي «علامات الإعراب والبناء أنموذجاً»، «أطروحة دكتوراه»**: عقيل رحيم علي اللامي، إشراف: أ. د. محمد ضاري حمادي/ جامعة بغداد - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 1423هـ/ 2002م.

❖ **جامع البيان في تأويل آي القرآن، الشهير بـ«تفسير الطبري»**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار سويد (بيروت)، ط1، 1401هـ/ 1982م.

❖ **الجامع لأحكام القرآن، الشهير بـ«تفسير القرطبي»**: أبو عبد الله القرطبي، المالكي (ت671هـ)، دار الكتاب العربي (القاهرة)، 1387هـ/ 1967م.

❖ **جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**: أ. د. ماهر مهدي هلال/ دار الحرية للطباعة (بغداد)، ط1/ 1980م.

❖ **الجرس والإيقاع في التعبير القرآني**: أ. د. قاصد ياسر حسين الزيدي (ت1429هـ/ 2008م)، مجلة آداب الرافدين، العدد (9)، 1398هـ/ أيلول 1978م.

❖ **الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الشهير بـ«تفسير الثعالبي»**: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد أبن مخلوف الثعالبي، (ت875هـ)، مؤسسة الأعلمي، (بيروت)، (ب. ت).

❖ **خصائص الحروف العربية ومعانيها**: د. حسن عباس/ موقع أتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، 1418هـ/ 1998م.

❖ **الخلاف النحوي في كتب إعراب القرآن حتى نهاية القرن الثامن الهجري «أطروحة دكتوراه»**: عماد مجيد علي العبيدي، إشراف: أ. م. د. لطيفة عبد الرسول عبد/ الجامعة المستنصرية - كلية التربية (قسم اللغة العربية)، 1425هـ/ 2005م.

❖ **الدراسات الصَّوتية عند علماء التجويد**: د. غانم قدُّوري الحمد/ مطبعة الخلود (بغداد)، ط1، 1406هـ/ 1986م.

❖ **دراسات في علم اللغة (القسم الثاني)**: أ. د. كمال محمد بِشْر/ دار المعارف (القاهرة)، ط2، 1391هـ/ 1971م.

❖ **دراسات في اللغة والنحو**: أ. د. عدنان محمد سلمان الدليمي/ دار الحكمة (بغداد)، ط1، 1412هـ/ 1991م.

❖ **دراسة السمع والكلام**: د. سعد عبد العزيز مصلوح/ عالم الكتب (القاهرة)، ط1، 1400هـ/ 1980م.

❖ **دراسة الصَّوت اللغوي**: أ. د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت1424هـ/ 2004م)، عالم الكتب (القاهرة)، ط1، 1396هـ/ 1976م.

❖ **دراسة المعنى عند الأصوليين**: د. طاهر سليمان حمُّودة/ الدار الجامعية (القاهرة)، ط1، 1403هـ/ 1983م.

❖ **الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون**: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الله الدائم بن محمد بن إبراهيم، الشهير بـ«السمين الحلبي»، (ت756هـ)، تحقيق وتعليق: د. جاد مخلوف جاد، د. زكريا عبد المجيد النوتي، علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود/ تقديم وتقريظ: د. أحمد محمد صيرة/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1414هـ/ 1994م.

❖ **دروس في علم أصوات العربية**: جان كانتنيو، ترجمة: د. صالح القرمادي/ مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية (تونس)، ط1/ 1966م.

❖ **الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي**: أ. د. قاصد ياسر حسين الزيدي/ مجلة آداب الرافدين، العدد (26)، 1416هـ/ 1995م.

❖ **ديوان عمر بن أبي ربيعة**: أبو الخطَّاب عُمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، القرشي (ت93هـ)، مطبعة المدني (القاهرة)، ط3، 1384هـ/ 1965م.

❖ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الشهير بـ«تفسير الآلوسي»**: أبو الثناء الآلوسي البغدادي (ت1270هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط2، 1402هـ/ 1982م.

❖ **الصِّحَاح «تاج اللغة وصِحَاح العربية»**: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي (ت393هـ)، تحقيق: الأستاذ أحمد عبد الغفور عطَّار/ دار العلم للملايين (بيروت)، ط2، 1399هـ/ 1979م.

❖ **صفاء الكلمة**: د. عبد الفتاح لاشين/ دار المريخ (الرياض)، 1403هـ/ 1983م.

❖ **الصَّوت اللغوي في القرآن الكريم**: أ. د. محمد حسين علي الصغير/ دار المؤرخ العربي (بيروت)، ط1، 1421هـ/ 2000م.

❖ **الصَّوت والدلالة - دراسة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث**: د. محمد بوعمامة/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي**: د. منقور عبد الجليل/ موقع ٱتحاد الكُتَّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، 1422هـ/ 2001م.

❖ **علم اللغة العام (الأصوات)**: أ. د. كمال محمد بِشْر/ دار المعارف (القاهرة)، 1975م.

❖ **علم اللغة العربية - مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية**: أ. د. محمود فهمي حجازي/ دار غريب (القاهرة)، ط1، 1406هـ/ 1986م.

❖ **العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عَمْرو بن تميم الفراهيدي، الأزدي، اليحمدي (ت170هـ)، تحقيق: أ. د. مهدي المخزومي، أ. د. إبراهيم السامرائي/ دار الرشيد (بغداد)، 1980- 1982م.

❖ **فقه اللغة وخصائص العربية**: أ. د. محمد المبارك/ دار الفكر الحديث (بيروت)، ط2/ 1964م.

❖ **القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني «أطروحة دكتوراه»**: عدوية عبد الجبار كريم الشرع، إشراف: أ. د. قاصد ياسر حسين الزيدي/ جامعة بغداد - كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، 1426هـ/ 2006م.

❖ **قضايا صوتية في النحو العربي**: أ. د. طارق عبد عون الجنابي/ بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد)، الأجزاء (2، و3)، المجلد (38)، شوال 1407هـ/ حزيران 1987م.

❖ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الشهير بـ«تفسير الزمخشري»**: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد جار الله الزمخشري (ت538هـ)، دار المعرفة (بيروت)، ط3، 1403هـ/ 1982م.

❖ **اللغة**: الأستاذ جوزيف فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، د. محمد القصاص/ مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة)، 1950م.

❖ **اللغة العربية - معناها ومبناها**: أ. د. تمَّام حسَّان/ الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، 1399هـ/ 1979م.

❖ **اللغة العربية ومكانتها بين اللغات**: أ. د. فرحان السليم/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **مباحث في إعجاز القرآن**: أ. د. مصطفى مسلم/ دار القلم (دمشق)، ط1، 1418هـ/ 1998م.

❖ **مباحث في علوم القرآن**: أ. د. صبحي الصالح (ت1407هـ/ 1987م)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط18، 1411هـ/ 1991م.

❖ **مبادئ اللسانيات**: أحمد قدُّورة/ دار الفكر (دمشق)، ط1، 1417هـ/ 1996م.

❖ **المجيد في إعراب القرآن المجيد**: العلامة أبو إسحاق برهان الدين السفاقسي (ت742هـ)، تحقيق: موسى محمد زينين/ بلا دار نشر (طرابلس - ليبيا)، 1995م.

❖ **مدخل إلى القرآن الكريم - عرض تاريخي وتحليل مقارن**: د. محمد بن عبد الله درَّاز (ت1377هـ/ 1958م)، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: د. السيد محمد بدوي/ دار القلم (الكويت)، 1406هـ/ 1986م.

❖ **مدخل إلى معرفة اللسانيات**: د. محمد إسماعيل بصل/ دار المتنبي (دمشق)، (ب. ت).

❖ **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**: أ. د. مهدي المخزومي/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)، ط2، 1377هـ/ 1958م.

❖ **مشكل إعراب القرآن**: مكّي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، تحقيق: ياسين محمد السوَّاس/ دار المأمون للتراث - دمشق، ط2 (ب. ت).

❖ **المصطلح الصَّوتي في الدراسات العربية**: د. عبد العزيز سعيد الصيغ/ دار الفكر (دمشق)، ط1، 1421هـ/ 2000م.

❖ **المظاهر الصَّوتية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل**: بحث أعدَّه الطيب دبَّه/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **معاني النحو**: أ. د. فاضل صالح السامرائي/ مطبعة التعليم العالي (الموصل)، بيت الحكمة (بغداد)، ط1، 1407هـ/ 1987م.

❖ **المُعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته**: أ. د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (بمساعدة فريق عمل متخصص)، مؤسسة التراث (الرياض)، ط1، 1423هـ/ 2002م.

❖ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: أبو محمد جمال الدين عبد الله بن محمد بن يحيى بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، الخزرجي (ت761هـ)، تحقيق: أ. د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله/ دار الفكر (بيروت)، ط6/ 1985م.

❖ **مفاتيح الغيب، الشهير بـ«تفسير الفخر الرازي»، أو«التفسير الكبير»**: أبو عبد الله فخر الدين بن الخطيب بن محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التيمي، البكري، الملقب بـ«**فخر الدين الرازي**»، (ت606هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1421هـ/ 2000م.

❖ **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي/ دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط4، 1425هـ/ 2005م.

❖ **مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني - قراءة في ضوء الأسلوبية**: نصر حامد أبو زيد/ مجلة فصول - المجلد الخامس (العدد الأول)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (القاهرة)، 1404هـ/ 1984م.

❖ **مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي (ت395هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون/ دار الفكر (بيروت)، 1399هـ/ 1979م.

❖ **مُقدِّمة لدراسة فقه اللغة**: د. أبو الفرج محمد أحمد/ دار النهضة العربية (بيروت)، ط1، 1388هـ/ 1969م.

❖ **منهج البحث الصَّوتي عند العرب**: أ. د. محمد حسين علي الصغير/ بحث منشور في مجلة الضاد - الجزء الثالث، ذو الحجَّة 1409هـ/ آب 1989م.

❖ **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**: أ. د. علي عبد الحسين زويّن/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط1، 1406هـ/ 1986م.

❖ **منهج الدرس الصوتي عند العرب «أطروحة دكتوراه»**: علي خليف حسين، إشراف: أ. د. محمد حسين آل ياسين/ جامعة بغداد - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 1423هـ/ 2002م.

❖ **مواضع اللبس في العربية وأمن لبسها**: د. عبد الفتَّاح الحمُّوز/ مجلة جامعة مؤتة للبحوث والدراسات (عمَّان)، العدد الأول - المجلَّد الثاني، حزيران، 1407هـ/ 1987م.

❖ **نحو علم الترجمة**: يوجين أ. نيدا، ترجمة: ماجد النَّجَّار/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط2، 1396هـ/ 1976م.

❖ **النحو والدلالة «مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي»**: د. محمد حماسة عبد اللطيف/ بلا دار نشر (القاهرة)، ط1، 1403هـ/ 1983م.

❖ **النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري**: أ. د. نعمة رحيم العزاوي/ دار الحرية (بغداد)، ط1، 1398هـ/ 1978م.